الملاك المنبوذ

الملاك المنبوذ

رامي عبد الباقي

تصميم الغلاف: أحمد فرج

المراجعة اللغوية: مروة شوقي

رقم الإيداع: 2017/5426

I.S.B.N:978- 977- 85342- 0-1

الطبعة الأولى 2017م

الإدارة: 17 ش عزت باشا المطربة، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

هاتف: 01099387500 - 01147633268

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com
Facebook: Zein Publish

جميع الحقوق محفوظة©

رامي عبد الباقي

الملاك المنبوذ

مجموعة قصصية

إهداء دائم

إلى أمي أولاً

وثانياً

وثالثاً ورابعاً وخامساً

وإلى مالا نهاية

أهدي إليكِ كل شئ جيد فعلته في حياتي

وأتمنى أن أكون قد أسعدتك ولو لمرة واحدة في حياتي

إلى من شجعني على كتابة تلك المجموعة

وتعب معي في مراجعتها وتصحيحها

إلى زوجتي وحب حياتي .. **مروة**

لم أعد أتذكر كيف كانت الحياة من قبلك

ولا أريد

أوبر

إنطلقت أجري محاولا إتخاذ أي ساتر من المطر المنهمر بقوة تلك الليلة .. كنت قد تأخرت في عملي بمكتب المحاماة الخاص بي الذي أفتحته مع صديق لي منذ أيام الدراسة حتى تجاوزت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ونزلت مسرعا بعد إنهاء عملي حتى أستطيع اللحاق بأي مواصلة تقلني للبيت .. وقفت قليلا تحت إحدى المحلات التجارية ثم أخرجت هاتفي وفتحت تطبيق أوبر حتى أطلب سيارة تقلني إلى البيت

تطبيق أوبر .. إنه هدية الإله على هذه الأرض للمعذبين أمثالي .. فأنا لا أحب قيادة السيارات في القاهرة حتى أحافظ على سلامة صحتي الإنجابية من المشاحنات والزحام والطرقات وما إلى ذلك من عوامل .. كما أنني لا أحب إستغلال سائقي التاكسي .. أذكر أنه عند بداية خدمة أوبر وانتشارها في العاصمة قاموا بعمل وقفات إحتجاجية كثيرة وقطعوا بعض الطرق لأن تلك الخدمة تؤثر على لقمة عيشهم كما يدعون

أذكر أنه قد جاءني عدد من سائقي التاكسي في مكتبي طالبين مني رفع قضية على شركة أوبر لأنهم متهربون من دفع الضرائب ويعرضون سلامة الراكبين معهم إلى الخطر نظرا لأن سيارتهم خاصة وليست أجرة .. أخذت أستمع إليهم في صمت قبل أن يتحدث أحدهم بصوت أنهكه تدخين الحشيش متسائلا عن السبب الذي جعل الناس يتركونهم ويهرعون لتلك الخدمة .. حينها وجدتني أقف أمامهم وأقول

لهم أنه ربما يكون السبب هو السيارة النظيفة والتي يشعر معها الراكب بآدميته .. أو يكون صمت السائق الخاص وعدم تذمره من أحوال المعيشة أو إلقائه بدلوه في أي حديث لا يفهم فيه شيئا .. أو ربما عدم تعرضهم للنساء بالمعاكسات اللفظية أو التحرش .. أو ربما عدم إلقائهم السباب مع كل خطوة يقطعونها بسياراتهم .. أو ربما عدم إعتراضهم على أي مشوار طُلب منهم بعكس البعض الذي يتعامل مع من يوصله وكأنه عبد عنده

أنهيت حديثي لأجدهم ينظرون إلي في دهشة سرعان ما تحولت إلى غضب واضح قبل أن يقوموا من مجالسهم ويبدأون في محاولة المشاحنة معي لكنني قمت بطردهم من المكتب فنظروا إلى شزرًا ثم قاموا بالرحيل سريعا من مكتبي غير مأسوف عليهم

أمسكت بالهاتف وقربته من عينيّ لأجد أن هناك سيارة على مقربة مني قد وافقت على طلبي وتبعد عني حوالي الدقيقتين .. هاتفت صاحبها سريعا والذي كان يدعى جمال وأخبرته بمكاني فأخبرني أنه أمامي من الناحية الأخرى وسوف يقوم بالدوران والحضور إلي حالا وهو ما حدث خلال الدقيقتين

ركبت سريعا ملقيا التحية على جمال وأنا أنظر إليه .. كان كهلا تجاوز الأربعين بقليل ذو شارب كث يبدو أنه يهتم به إهتماما فائقا وكان يرتدي معطفا أسود ثقيلا حتى يقيه البرد القارص الذي اشتدّ تلك الليلة

إسترحت قليلا في مقعدي وأنا منهك من كثرة العمل اليوم .. كنت في حاجة لبعض الهدوء الذي أعلم أنه سيوفره لي .. فقانون تلك الخدمة ينص أنه لن يتكلم حتى ابدأ أنا الحديث

قطع صمتنا رنين هاتف الرجل فالتقطه في سرعة وهو يأذن في الرد في البداية فأشرت له بطريقة طبعا لتأخذ راحتك فرد سريعا على المكالمة وهو يقول :

-نعم يا حبيبتي .. أعلم أني تأخرت ولكنني في الطريق .. نصف ساعة على الأكثر وسأكون بالمنزل .. هل تناولتي عشائك ؟ ووالدتك أيضا .. هل أخذت الدواء ؟ نعم أعلم أن اليوم كانت الجرعة الأخيرة في علبة الدواء وقد أحضرت معي علبة أخرى .. إذا لم أجدك مستيقظة سأترك لكي ما طلبته مني أسفل حقيبتك..حسنا يا عزيزتي.. أحبك كثيرا .. لترتدي ملابس ثقيلة فالجو اليوم يبدو وكأنه أتى رأسا من روسيا مع صفقة الطائرات .. حسنا .. في أمان الله

قالها وهو ينهي المكالمة ويعتذر مني مرة أخرى فنظرت إليه وأنا أقول:

-لا داعي للإعتذار يا سيدي .. آسف أنني أخرتك عن موعد عودتك

إبتسم وهو يقول :

-لا تقل ذلك يا سيدي .. إنه عملي كما أن الجو الليلة صعب جدا

أومأت برأسي وأنا أقول :

-نعم إنه كذلك وقد تأخرت كثيرًا في عملي اليوم ويجب أن أنام سريعا لأن غدا يتوجب علي الذهاب إلى المحكمة في الصباح الباكر

زاد قليلا من سرعته في الطريق الخالي وهو يقول :

-كان الله في العون .. أنا أيضا يجب أن أذهب لعملي مبكرا في الصباح الباكر

سألته وأنا أريد أن أكمل الحديث :

-وماذا تعمل يا أستاذ جمال

إبتسم وهو يجيب :

-أنا أعمل في وزارة المالية .. في مصلحة صك العملة

نظرت إليه مندهشا وأنا أقول :

-في وزارة المالية ولكن .....

قاطعني ضاحكا وهو يقول :

-في وزارة المالية لا يعني أنني وزير المالية أو أحد وكلائه أو مستشاريه.. أنا مجرد موظف فقير في المصلحة ولهذا أعمل ليلا على تلك السيارة التي إبتعتها حديثا حتى أحسن دخلي وأضمن حياة جيدة لإبنتي

صمت قليلا وكأنه شرد في شئ ما ثم أكمل :

-هل تعلم أن ابنتي طالبة في السنة الثانية في كلية طب القصر العيني ؟ وفي العام الماضي كان ترتيبها الثانية على الدفعة .. لا تعلم مدى سعادتي عندما جاءت لي مقر عملي لتزف لي ذلك الخبر السعيد .. كان ببساطة أسعد أيام حياتي .. شعرت فيه أن الله يكافئني على تعبي في ابنتي

إبتسمت وأنا أقول :

-حفظها لك الله وبارك لك فيها

إبتسم وهو يكمل :

-شكرا لك يا سيدي .. إنها فتاة رائعة .. يكفي أنها تدرس وفي نفس الوقت تعتني بوالدتها المريضة وتتحمل غيابي معظم الوقت عن المنزل

إعتدلت في جلستي وأنا أغير الموضوع قائلا :

-هل تعلم أنني من كبار المؤيدين لخدمة أوبر في مصر ؟ لقد رفضت أكثر من قضية كان يريد البعض رفعها على الشركة بحجة التهرب الضريبي

نظر إلي وهو يجيب :

-إنهم يحاربون أي مشروع ناجح في البلاد ولكن .....

صمت قليلا وكأنه تذكر شيئا ما قبل أن ترتسم إبتسامة خفيفة على وجهه وهو يقول :

-هل تعلم أن عملي في تلك الشركة أتاح لي معرفة العديد من العوالم والتي كنت أراها فقط في المسلسلات خلال شهر رمضان ؟ لقد رأيت أشياء في ذلك العام لم أرها في كل سنوات حياتي والتي تجاوزت الأربعين بقليل

سألته في فضول :

-لماذا يا أستاذ جمال ؟ ماذا رأيت ؟

ضحك وهو يجيب :

-سأخبرك بأكثر أغرب ثلاثة مشاهد مروا علي ولم أكن أتخيلهم

قلت بلهفة شديدة :

-موافق .. لتخبرني

إنحرف بالسيارة يمينا ليتفادى كلبا انشقت الأرض عنه وهو يعبر الطريق وهو يقول :

-في إحدى المرات طلبني أحدهم وكان ينتظرني أمام مقهى شهير بالمهندسين وكان يريد الذهاب لمدينة الشيخ زايد وكان معه إحدى الفتيات والتى تضع على وجهها كمية مساحيق تجميل تجعلها أشبه

بعروسة المولد وترتدي ملابس .. حسنا لن أصف ما كانت ترتديه بالملابس فالملابس مهمتها الستر وليس الكشف .. المهم ركبا معا في الخلف وبدأت في رحلتي وإن كنت أنظر إليهما بين الحين والآخر في المرآة حتى أتأكد أن كل شئ سليم حتى لم أجدها في إحدى المرات

هتفت متفاجئا :

-أين ذهبت ؟

ضحك وهو يكمل :

-أوقفت السيارة سريعا والتفت إلى الوراء لأجد الرجل قد خلع بنطاله وصار عاريا في نصفه السفلي تماما والفتاة تمسك بعضوه وتلتهمه في شغف

لم أتمالك ضحكاتي الشديدة وسألته من بينها :

-وماذا فعلت ؟

رد على ضحكاتي بالمثل وكأنه يستحضر الموقف أمامه وأجاب :

-وجدت الرجل يصرخ فيّ مطالبا بإستمراري في طريقي وعدم التعدي على حريتهم .. نظرت إليهم من دون أن أتحدث قبل أن أوقف السيارة وأنزل منها متوجهًا إليه ساحبا إياه من السيارة وألقيته عاريا بنصفه السفلي على الطريق قبل أن أمسك الفتاة وألطمها بشدة على وجهها وألقيها بجانبه ثم أخذت السيارة ورحلت تاركا إياهم في الصحراء

تخيلت الموقف وأنا أضحك ثم سألته :

-وما الثاني ؟

إبتسم وهو يجيبني :

-في مرة أخرى طلبني أحد الأشخاص ولم يكن قد حدد وجهته وراح بعد ذلك يصف لي الطريق ويدخلني في شوارع منقطعة حتى خرج علينا من على جانبي الطريق حوالي خمسة أشخاص مهددين إيانا بالأسلحة حتى أترك لهم السيارة وبطاقتي

هتفت في دهشة :

-بطاقتك

أكمل قائلا :

-صبرا وستعرف كل شئ .. بالطبع نفذت طلباتهم وعدت إلى بيتي وقلبي يعتصره الحزن من ضياع مورد رزقنا الجديد .. في الصباح استيقظت مبكرا حتى أرى ما سأفعله .. بالطبع لم أقدم بلاغا رسميا في سرقة السيارة لأنني أعلم أنهم لن يسترجعوها فقط سأدفع العديد من الرشاوي والإكراميات للأمناء هناك حتى يباشروا عملهم ويحاولوا استعادتها لذلك لم أفضل الدخول في تلك الدوامة

صمت ثانية ثم أكمل :

-بمجرد نزولي إلى الشارع حتى وجدت سيارتي أمامي .. سليمة تماما لا يوجد بها خدش واحد .. لم أصدق عيني في البداية وبعد أن أفقت من دهشتي اندفعت إليها ودخلتها لأجد خطاب ضخم على مقعد القيادة .. فتحته في سرعة لأجد خطابا من من سرقوها مني بالأمس يعتذرون مني على فعلتهم ويقولون إنهم كانوا بحاجة إلى سيارة جديدة لا تعلم الشرطة عنها شيئا حتى يقوموا بتسليم بضاعتهم بأمان ولذلك فعلوا فعلتهم بالأمس وأصروا على أخذ بطاقتي حتى يعيدوها إلي على عنواني ويتمنوا أن أقبل إعتذارهم وكذلك هديتهم الصغيرة الموجودة في التابلوه

سألته :

-أي هدية ؟

ضحك وهو يجيب :

-عندما فتحت تابلوه السيارة وجدت ظرفا آخر أكبر .. فتحته في سرعة لأجد بطاقتي ومبلغ يتجاوز العشرة آلاف من الجنيهات

لم أتمالك نفسي هذه اللحظة وأخذت في الضحك الشديد ثم تمالكت أنفاسي وأنا أقول :

-اللصوص أصبح عندهم ضمير في وقتنا الحالي .. ليرحمنا الله

شاركني ضحكاتي قليلا ثم أردف :

-الموقف الثالث كان في العام الماضي وفي مباراة الزمالك وإنبي في الدوري العام

قاطعته :

-تقصد مباراة مذبحة الدفاع الجوي

أومأ برأسه وهو يجيب :

-نعم هي كذلك .. كنت في ذلك الوقت بالقرب من الملعب .. كنت أرى مشجعي الفريق وهم يلتحفون بالأعلام ويزينون وجوههم بعلم فريقهم ويهتفون في سعادة لفريقهم قبل أن أسمع دوي بعض الأصوات القوية وتصاعد الأدخنة .. لم أتخيل للحظات ماذا حدث قبل أن تلتهب عيني وأنفي لأعلم كنه تلك الأصوات فقد عاصرتها من قبل في التحرير وفي أحداث محمد محمود

أومأت برأسي في فهم وأنا أردد :

-قنابل مسيلة للدموع

أجابني في سرعة مؤكدًا على عبارتي :

-نعم .. وجدت الشباب يهرعون هاربين في الشوارع الجانبية وبعض عناصر من الأمن تطاردهم في قسوة .. وفجأة فُتح باب سيارتي بسرعة وإحدى الفتيات تدخل وهي تبكي بشدة قبل أن يظهر فتى خلفها وهو يقول لي :

-أستحلفك بالله يا سيدي أن تأخذ خطيبتي معك وتوصلها إلى بيتها لو مكثت ثانية أخرى معي هنا في الشارع ورأوها ترتدي تيشيرت الفريق فسيقتلوها بلا رحمة كما فعلوا مع زملائنا هناك .. إنهم لا يفرقون بين فتى أو فتاة

لم ينتظر سماع ردي .. فقط قال كلمته وطبع قبلة على جبينها قبل أن ينطلق بعيدا .. في ثانية اتخذت قراري وانطلقت بالسيارة في الشوارع الجانبية والفتاة تبكي بجانبي وما إن تأكدت أننا صرنا بعيدا عنهم حتى هدأتها قليلا وسألتها عن عنوانها وقمت بتوصيلها لهناك

صمت وأنا أتذكر أحداث مذبحة الدفاع الجوي والفخ الذي نُصب لمشجعي الزمالك هناك كما نُصب لإخوتهم في بورسعيد وكاد أن يُنصب في الغربية وكيف تم زهق أرواح عشرين مشجعا كانت كل جريمتهم هي الإدعاء بعدم إمتلاكهم تذاكر لحضور المباراة وإثارتهم للشغب عند دخولهم الملعب

أفقت من شرودي على صوت عم جمال وهو يقول :

-حمداً لله على سلامتك يا سيدي

أول مرة

أخذ الفحم الموضوع على الموقد الكبير يصدر صوت عالي مألوف للآذان دليلًا على احتراقه قبل أن يأتي ليأخذه فتى صغير يرتدي ملابس رثّة لا تقيه برد الليل .. ويبدأ في توزيعه على أحجار الشيشة المنتشرة في المقهى الذي اعتدنا دائما على الجلوس فيه .. أخذت نفسا عميقا من الشيشة وأطلقته في بطء قبل أن ألتفت لصديقي علاء وأسأله في عدم فهم :

-ماذا تقصد بحديثك ؟

ضحك علاء وهو ينفث سحابة كثيفة من الدخان وهو يقول :

-ألا تفهم ما أقصد بالفعل ؟ عرسك بعد أقل من عشرة أيام ولم تجرب نفسك ولا مرة حتى الآن

صمت قليلا وأنا أفكر في حديثه .. لديه كل الحق أن يسخر مني فأنا ذلك الفتى الخام كما يطلقون علي وسط أصدقائي .. لم يكن لي ولا تجربة جنسية على الرغم من تجاوز عمري الثلاثين بعامين إلا أنني لم أختل بإمرأة في حياتي .. طوال العشرة أعوام الماضية وأنا أكتفي بممارسة العادة السرية مع نفسي من دون الإختلاط بالنساء .. نظرت إليه وسألته :

-وماذا في ذلك ؟ هل يجب علي أن أنام مع أي فتاة على الطريق قبل زواجي ؟

نظر إلي وهو مندهش من حديثي ثم قال :

-ألم تفكر في الأمر بالفعل ؟ يجب أن تجرب نفسك مع امرأة محترفة قبل زواجك .. تخيل لا قدر الله أنك كنت تعاني من شيء ما فهذه فرصة لك حتى تعالجه قبل زواجك لكي تحافظ على منظرك أمام زوجتك ولا تظهر بمظهر الأحمق أمامها

نظرت إليه وقد بدأت أقتنع بحديثه .. كنت قد قرأت عن الكثيرين مِن مَن يفشلون في ليلة زواجهم الأولى وكيف يؤثر ذلك على زواجهم وحياتهم بعد ذلك وأنا لن أسمح أن يحدث لي هذا .. حسنا .. لا مانع من التجربة خصوصا مع امرأة محترفة مهنتها هي فتح فخذيها أمام من يدفع وما دمت سأدفع جيدا ستكون حريصة على تقديم أفضل خدماتها لي

كان علاء مازال ينظر إليّ في ترقب لمعرفة قراري فابتسمت وأنا أجيبه :

-حسنا يا علاء لقد اقتنعت بوجهة نظرك .. هل تعرف فتاة جيدة تستطيع أن تعلّمني ما خفي عليّ من تلك الأمور .. وتجعلني أشعر بفحولتي أمامها ..

تراجع علاء في مقعده بادية عليه علامات الظفر بالغنيمة التي ينتظرها قبل أن يتمالك نفسه ليظهر بمظهر اللامبالي وهو يجيبني في هدوء:

-لا تقلق يا عزيزي سيجلب لك الساحر العظيم عمو علاء أفضل بضاعة جربها من قبل

بادلته الإبتسام وأنا أسحب نفسا عميقا آخر من الشيشة وأنفخه ناحيته في بطء

يالله على هذا الشعور الجديد

لم أكن أتخيل أن يكون الإحساس بالتواجد مع إمرأة مختلفا بهذه الطريقة .. بالطبع جربت المتعة بيدي مرات عديدة ولكنها لم تكن مثل هذه المرة

أوفى علاء بوعده وجلب لي فتاة يعرفها بعد حديثنا بيومين وقبل أسبوع من عرسي .. كانت الفتاة تدعى هبة واتس آب .. أضحكني ذلك الاسم في البداية حين سمعت به .. لكن علاء أخبرني إنه يطلق عليها كذلك في وسط فتيات الليل وذلك لأن كل إتفاقاتها تجرى من خلال برنامج المحادثة الشهير .. كانت نموذج للعاهرة كما تجب أن تكون .. صدر كبير نافر يريد أن يتحرر من ملابسها الضيقة الكاشفة أكثر مما تستر ومؤخرة مكتنزة تريد أن تدفن وجهك فيها لبقية حياتك وشفتان مليئتان تلتهمها بنهم ليستا بحاجة لإستعمال تلك الحقن المسماة بالبوتكس

كنت قد سمعت من قبل أن العاهرة تعطيك جسدها كله ولكنها تحتفظ بشفتيها لحبيبها فقط وهو ما اتضح كذبه لاحقا .. المهم أن هبة جاءت إليّ في شقة علاء الخاصة والتي جعلها وكرا لملذاته بعيدا عن الأعين المتلصصة وتركنا بمفردنا بقية الليلة

بالطبع لم أكن أعرف الفرق ولكن تلك الفتاة كانت محترفة بحق .. تعرّت أمامي بطريقة مثيرة جعلتني أبلغ أشدي من قبل أن ألمسها وبعد ذلك بدأت في عملها الممتاز وجعلتني أعتليها ثلاث مرات في تلك الليلة قبل أن أنام بجانبها وأنا منهك القوى من تلك المعركة الكبرى والتي حدثت بيننا فوق الفراش وعلى الأرض

لقد فعلتها إذن .. لا أعاني من أي مشكلة ولن تحدث أي مشكلة مع زوجتي .. أستطيع أن أقول وبكل ثقة أن الفرعون الصغير وصل لفورمته القصوى وعلى أتم الاستعداد لدخول الملعب وبدأ المباراة

استيقظت في يوم عرسي على مثانة ممتلئة جعلتني أهرع مسرعًا إلى دورة المياه حتى أفرغها لأفاجأ بحرقان شديد يندفع مع البول .. كان مصاحب لألم ينهش في أحشائي بشدّة .. رجحت أن الأمر قد يكون نتيجة أملاح زائدة في الكلى نتيجة لعدم شربي لكميات كثيرة من المياه في الفترة الماضية كما هو الحال في كل مرة انسى فيها ذلك .. خرجت واتجهت إلى المطبخ لأفرغ زجاجة مياه كاملة في جوفي قبل أن أتجه إلى الثلاجة وأخرج زجاجة شعير حتى أشربها .. عادي جدا أن تحدث تلك الأمور لأي شخص سيتزوج اليوم .. لقد رأيت الأسوء مع أصدقاء لي أحدهم كسر يده والآخر أصيب جرح وجهه جرحا كبيرا أثناء حلاقة ذقنه .. جيد أنه لم يحدث لي شيء جللٌ مثلهم .. لن أترك شيئا يعكر علي صفو ليلتي المنتظرة

***

في المساء سار العرس على أكمل وجه .. أحضرت عروستي من الكوافير الذي ذهبت إليه .. لم أعرفها في البداية بسبب تلك الكميات الثقيلة من مساحيق التجميل والتي تضعها الفتيات في ليلة زفافهن ولكنني عرفتها من فستان فرحها الأبيض .. بالطبع لن ترتدي أي من صديقاتها فستان فرح أبيض

سار الزفاف جيدا .. الكثير من أغاني المهرجانات والرقص والقفز على شئ لا نفهمه .. كالمعتاد قام أصدقائي بالواجب المعتاد معي في تلك الليلة فقد كنت قد جاملتهم كثيرا من قبل ووجدوها فرصة لا يجب أن يفوتوها حتى يردوا إلي ما فعلته بهم .. كذلك كان الطعام جيدا وأعجب جميع المدعوين على غير العادة في الأفراح المصرية

بعد إنتهاء العرس ذهبنا لبيتنا .. استمر أصدقائي بالجلوس قليلا أسفل البناية التي بها شقتي وهم يصفرون ويغنون كما نفعل دائما

حين يتزوج أحدنا .. استمروا على ذلك المنوال من التصفير والغناء والضحكات التي أزعجت بقية القاطنين بالبناية قبل أن أخرج إليهم من الشرفة كبقية القاطنين وأقوم بلعنهم معهم ولعن آبائهم مما جعلهم يلوذون بالفرار وهم يطلقون الضحكات الماجنة .. وجدت القاطنون ينظرون إليّ شزرًا كما وكأنني المسئول عن التصرفات الصبيانية لأصدقائي فأسرعت بالدخول إلى الشقة وإغلاق النافذة

التفت إلى عروسي لأجدها تجلس على طرف الفراش وهي تنظر إلى الأرض ومازالت ترتدي فستان الفرح .. نظرت إليها في شهوة واضحة قبل أن اتجه لأغلق نور الغرفة وأودع حياة العزوبية

***

في اليوم الثاني سافرنا إلى تركيا .. كان أصدقائي قد قاموا بترتيب إجازة صغيرة لنا كهدية زفاف منهم .. لم يعكر صفوي في هذا الأسبوع سوى ذلك الحرقان المستمر والمؤلم الذي يهاجمني كلما قررت التبول .. بالطبع أخفيت الأمر عن زوجتي ولم أخبرها حتى لا أعكر عليها صفو رحلة شهر عسلها واستمرت حياتنا الزوجية طبيعية وقررت أن أذهب إلى طبيب مختص بمجرد عودتنا إلى القاهرة .. أعتقد أن هناك خطب ما بكليتيّ يجعلهما لا يعملان بكفاءة تامة

بدأ الأمر يصيبني بالتوتر والقلق كما ازداد الألم مع مرور الوقت على الرغم من أخذي لجميع الأدوية التي تعالج الأملاح الزائدة

***

أجلس أمام الطبيب المتخصص في أمراض الكلى وهو يراجع التحاليل التي طلبها مني ثم أجده يلتفت إلي ويسألني :

-أجد هذا الأمر محرجا قليلا ولكن يجب أن اسأل .. أنت أخبرتني من قبل إن الاعراض واتتك في قبل عرسك .. هل كان لك أي علاقات جنسية قبل فترة من زواجك لا تتجاوز الشهر

صمت قليلا في حرج ثم استجمعت شجاعتي وقلت :

-في الحقيقة يا دكتور نعم .. لقد مارست الجنس مع إحدى فتيات الليل قبل زواجي بأسبوع حتى ..... أجرب نفسي كما يقولون

خلع نظارته الطبية ووضعها على المكتب ثم نظر نحوي قائلا :

-هذا ما توقعته .. تلك الفتاة واضح أنها كانت مريضة وقد نقلت إليك المرض ..

ارتعبت من فكرة إنني مريض وأن الفتاة قد نقلت إليّ مرضًا خطيرًا.. فنظرت إليه بنظرة فارغة متسائلًا في توجس:

-مرض ماذا ؟

رد عليّ الطبيب:

-مرض السيلان

نطقت في عدم فهم :

-ال.....سيلان؟

أومأ برأسه مكملا :

-نعم مرض السيلان.. إنه مرض جنسي منتشر بين متعددي العلاقات الجنسية ويعتبر الحرقان والألم الذي يصيبك في عملية التبول إحدى أشهر علاماته

صعقت من حديث الطبيب .. ورأيت في عينيه نظرة اشمئزاز مني ومن فعلتي التي أصابتني بالمرض .. اعتقد إنه محق .. لو كنت في موقعه لكنت نظرت إلى ذاتي نفس تلك النظرة التي أراها على وجهه الآن .. لكن من أنا حتى أحكم أليس أنا من قررت أن أفعل ذلك بمحض إرادتي

أفقت من شرودي على حديث الطبيب:

- مرض السيلان من الأمراض الذي قد يؤدي إلى مشاكل صحية متعددة إن لم يُعالج في الوقت المناسب .. مع ذلك فإن علاجه ليس بالصعب على الرغم من مشاكله .. جرعة واحدة من الدواء تقضي عليه .. لكن المشكلة أنه من المؤكد أن المرض قد انتقل إلى زوجتك منك أثناء العملية الجنسية ويجب عليها أن تتداوى منه مثلك حتى لا يصيبك المرض من جديد

صدمت لحديثه قبل أن أقول :

-أنا قمت بنقل المرض إليها .. ولكنها لم تخبرني بأي شئ

نظر في عينيّ وهو يقول :

-في المعتاد وفي بداية حياتهن الجنسية الجديدة تشعر بعض الفتيات بآلام نتيجة التهابات في المهبل من فرط العملية الجنسية .. تعتبرها جميع الفتيات إنها آلام عادية نتيجة لذلك .. لكن من المؤكد بالنسبة إلي أن المرض قد انتقل لها ما دمت مارست حياتك الزوجية معها بصورة طبيعية بعد إصابتك به ..

قام من مجلسه أمامي ليعود ويجلس خلف مكتبه مرة أخرى وهو يقول :

-يجب أن تخبرها حتى تأخذ العلاج هي أيضًا .. لا يوجد أمامك حل آخر قبل حدوث حمل وحينها ستصبح المشكلة أكبر لأن المرض قد ينتقل إلى الجنين مسببًا العديد من المشاكل له

***

خرجت من عند الطبيب وأنا أستعيد حديثه .. لا يوجد أمامي حل آخر .. يجب أن أخبر زوجتي بأنني قد انتقل لي مرض جنسي من إحدى

العاهرات وقد قمت بدوري بنقل ذلك المرض إليها ويجب علينا أن نتداوى منه وبأسرع وقت ولكن كيف أخبرها ؟

وهل ستلتمس لي العذر فيما فعلته ؟

وهل ستصدق أنني فعلت ذلك الأمر قبل زواجنا وليس أثناء سفرنا؟

وهل ستسامحني على فعلتي أم ستطلب الطلاق ؟

جلست على الأرض وأنا أبكي بحرقة .. خطأ صغير .. تجربة كانت أول مرة أتورط فيها ولم أكن أعلم أنها ستؤثر على حياتي بتلك الصورة

قمت من مجلسي وأنا أزيل التراب من ملابسي وأمسح دموعي وأتجه للبيت وما إن دخلت حتى وجدت زوجتي تتقدم مني وتطبع قبلة على وجنتي قبل أن تقول لي :

-لي عندك خبر جيد

نظرت لها وأنا أقول :

-وأنا كذلك يا عزيزتي كنت أريد أن أحدثك في أمر ما .. ولكن لتقولي أنتِ أولا

احتضنتني وهي تقول في خجل وسعادة شديدتين :

-أنا حامل

برزخ الشهداء

في عالم البرزخ الغامض عن البشر يحيا جميع الأموات من بني الإنسان في إنتظار يوم حسابهم من قبل خالقهم

يحيون فيه وكأنهم في حلم جميل يعيشون فيه بسعادة ومودة وحب وطيبة بلا شرور أو ضغائن أو مكائد ولكنهم يتمتعون فيه بكامل وعيهم وإدراكهم

في تلك المنطقة البهيجة ذات البحيرة الكبيرة والأشجار المثمرة والظلال التي تخيم عليها لتعطيها منظرا جميلا يسر الأعين يحيا جميع شهداء مصر بداية من العصر الفرعوني وشهداء معركة قادش مرورا بشهداء عصر الإمبراطور دقلديانوس وشهداء مصر في عصر الرومان وشهداء معركة حطين ومعركة عين جالوت مرورا بشهداء عصر الإحتلال الفرنسي والإحتلال الإنجليزي والحروب مع العدو الصهيوني نهاية بشهداء العصر الحديث

يحيا شهداء العصر الحديث بجانب الوادي ذي الجدول الصغير وأشجار التوت حيث يجلس شهداء الحروب الإسرائيلية مع بعضهم في شبه عزلة عن الآخرين حيث يجتمع الرئيس الراحل محمد أنور السادات مع الفريق عبد المنعم رياض ومعهم جميع القيادات والجنود ليراقبوا في حزن مكلوم أرض سيناء التي دفعوا من أجلها الكثير من الدماء مما يكفي لري قارة بأكملها وهي تضيع وتصبح مرتعا للجماعات

الإرهابية المتشددة التي تطلق على نفسها خطأ اسم الجماعات الإسلامية والإسلام منهم بُراء ويرون كذلك كيف يتم التفريط في السيادة على الأراضي المصرية وكيف انتهكت كرامة مصر وعزتها في السنوات الأخيرة .. يشاهدون كم الإهمال والتجاهل المتعمد والذي ضرب أرض سيناء طيلة ثلاثين عاما من دون أن يتم الإستفادة من الخيرات التي تملأ أرضها البكر

على جانب آخر يجلس شهداء ثورة الخامس والعشرين من يناير في حزن شديد على دمائهم التي سالت على الأرض وقصاصهم العادل ممن اقتنصوا أرواحهم بلا ذرة ضمير والذي لم يأت حتى تلك اللحظة.. يجلس خالد سعيد شهيد التعذيب أيام الرئيس السابق محمد حسني مبارك ووزير داخليته حبيب العادلي أمام شبكة الإنترنت ودموعه تنساب على خديه وهو يقرأ خبر الإفراج عن قاتليه بعد سلسلة طويلة من المحاكمات .. ويجلس سيد بلال الشاب السلفي الجميل والذي قتل من شدة التعذيب في أعقاب تفجير كنيسة القديسين بالأسكندرية على أيدي أمن الدولة الذين حاولوا إلصاق تلك التهمة الشنيعة به وهو يراقب إبنه الصغير الذي لم يستطع سماع كلمة أبي منه وفي نفس الوقت يراقب تصرفات من يدعون السلفية وحب الله والسلف الصالح وهم يرتكبون كل الموبقات التي حرمها الله بدءً من الكذب مرورا بالزنا والفساد في الأرض .. وتجلس هدير عادل أمام المرآة لتعدل من ربطة حجابها الجميلة وبجانبها تجلس سالي زهران لتمشط شعرها الطويل وتتركه يتهدل على كتفيها .. بالقرب منهم يرتكن اللواء محمد البطران على جذع شجرة ويجلس بجانبه النقيب محمد خفاجي وباقي شهداء الشرطة الذين تم إغتيالهم على أيدي ميليشيات حماس وحزب الله أثناء الأيام الأولى للثورة وأثناء تهريبهم للمساجين المنتمين إليهم ويؤكد اللواء البطران على عدم رضاه على سياسة الوزير حبيب

العادلي في التقييد على الحريات وإطلاق أيادي جهاز أمن الدولة في تلفيق التهم للمواطنين وتعذيبهم حتى الموت وكيف رفض ترك موقع عمله أمام الإرهابيين حتى قتلوه في النهاية .. ويجلس كريم بنونة أمام لوحة الرسم الخاصة به ليرسم لوحة جديدة لمصر وهي تبكي على ما وصل إليه حالها .. ويكمل مايكل وصفي صلواته أمام المذبح المقدس وهو يدعو الله أن يحفظ مصر كاملة مسلمها بمسيحيها .. بينما يتابع سامح علي ومحمد محروس وإسلام بكير وسيف الله مصطفى المحاكمات الهزلية المذاعة حصريا على شاشة التليفزيون المصري وكأنها مباريات لكرة القدم وهي توزع أحكام البراءة للجميع بل وقد يلصقون التهم زورا بالثوار ويُظهروهم في صورة المعتدين على الممتلكات الحكومية والمكدرين للسلم العام .. وبجانبهم يقف أحمد بسيوني وهو يبحث عن مصر التي ثار من أجلها ودفع دماءه راضيا حتى يراها في أفضل حال ولكنه يجد بلدا أخرى يخون فيها الجميع بعضهم بعضًا

بالقرب منهم يجلس شهداء الفترة الإنتقالية التي حكم فيها الجيش بقيادة مجلسه العسكري البلاد حيث يجلس من يستحق لقب الشيخ، الشيخ عماد عفت شهيد أحداث محمد محمود ليقرأ القرآن الكريم ويجلس أمامه الطفل أنس أصغر شهداء مذبحة ستاد بورسعيد ليتابعه وهو يقرأ القرآن محاولا أن يقلد صوت وطريقة ترتيل الشيخ عماد الجميلة والمحببة إلى القلب .. بالقرب منهم يجلس شبيه جيفارا الفتى مينا دانيال شهيد أحداث ماسبيرو وهو يفكر في قصيدة جديدة عن مصر ليكتبها .. وينكب علاء عبد الهادي شهيد أحداث محمد محمود على كتبه الدراسية ليكمل دراسته التي منعته أيادي الغدر من إستكمالها وهو يحلم باليوم الذي يعمل به طبيبا ليداوي الفقراء والبسطاء من الشعب المصري .. وعلى مقربة منهم يتواجد شهداء أحداث مجلس الوزراء ليكملوا المباراة الأزمة التي تسببت في إشتعال

تلك الأحداث .. ويجلس شهداء أولتراس أهلاوي ليناقشوا كيف لعب فريقهم مباريات دوري أبطال أفريقيا على الرغم من دمائهم التي لم تجف بعد في الوقت الذي إنسحب فيه من كأس مصر بسبب الأموال وعقد الرعاية ويجلس معهم وبجانبهم إخوتهم وزملائهم شهداء أولتراس وايت نايت وهو يتندرون لما حدث لهم في مذبحة الدفاع الجوي وكيف تم قتلهم بأيدي باردة بدعوى أنهم لم يكن بحوذتهم تذاكر لحضور المباراة تحت مسمى التدافع في ممر الموت الحديدي

في المنطقة الأخرى يجلس شهداء عهد الرئيس محمد مرسي أول رئيس مدني منتخب حيث يجلس جابر صلاح جابر أو " جيكا " كما يدعوه زملاؤه وهو في منتهى الدهشة لأنه كان من أوائل من دعموا الرئيس مرسي واحتفلوا بفوزه في الإنتخابات الرئاسية بميدان التحرير ولم يكن يتوقع أن يستشهد في عهده .. ويجلس أحمد عبد الفتاح أبوالعلا وأمامه العديد من أرغفة الخبز الذي دفع حياته ثمنا لها إثر مشاجرة إندلعت في طابور العيش على الرغم من الوعود التي أطلقها الرئيس مرسي أيام حملته الإنتخابية بإنهاء مشكلة الخبز وطوابير العيش في المائة يوم الأولى من حكمه .. ويمر من جانبه الطفل عمر صلاح عمران بائع البطاطا والذي أستشهد بمحيط السفارة الأمريكية وهو يوزع ما بعربته من البطاطا على شهداء مذبحة بورسعيد الثانية وشهداء موقعة الإتحادية وشهداء فتنة الخصوص وأحداث الكاتدرائية .. ويجلس الصحفي الحسيني أبوضيف شهيد موقعة الإتحادية وهو يضحك بصوت عال على تصريحات أحد قيادات الإخوان المسلمين بأن الحسيني كان عضوا بالجماعة وهو من عاش طيلة حياته في محاولات لفضحهم وتعريتهم أمام الشعب المصري ويشاركه كرم جرجيوس شهيد أحداث الإتحادية أيضا الضحك وهو يستمع لتصريحات محمد بديع المرشد العام لجماعة الإخوان

المسلمين وهو يؤكد أن جميع شهداء موقعة الإتحادية ينتمون لجماعة الإخوان المسلمين ويتخيل ما كان سيحدث إن كان القس قد صدق ما قاله محمد بديع ورفض الصلاة عليه في الكنيسة .. وبجانبهم تجلس كتيبة الجيش المصرية شهداء مجزرة رفح بقيادة الرقيب طارق محمد عبدالله ومعه ثروت وحامد ووليد وحمدي وحمادة وباسم لينهوا وجبة إفطارهم والتي منعتهم ميليشيات حماس والإرهابيون من إكمالها وهم يبكون على دمائهم التي أهدرت ونسيها الجميع ولم يعد يطالب بها أحد .. ويقف محمد الجندي شهيد التعذيب الجديد في عهد محمد مرسي بجوار سيارة وهو يتخيل كيف يصدق أحد أن وفاته جاءت بسبب حادثة سيارة على الرغم من آثار التعذيب الواضحة على أماكن متفرقة في جسده والتي يستطيع الأعمى رؤيتها بيديه .. وعلى القرب منه يجلس محمد حسين قرني أو " كريستي " كما يلقب بين أصدقائه وهو يتخيل ما كان سيحدث في البلاد لو نجح الفريق أحمد شفيق في الإنتخابات الرئاسية حيث كان سيواصل تصدير الغاز لإسرائيل ويهمل مشكلة سد النهضة الذي تعتزم أثيوبيا بناؤه ليؤثر على حصة مصر المائية وكيف كان سيوطد علاقته بقيادات الدولة الصهيونية واستمرار الفساد في جميع مرافق الدولة وكيف كان سينكل بالمعارضين ويسجن من يخالفه الرأي وكيف ستكون العقوبة الجديدة لتهمة إهانة الرئيس وكيف كان سيطلق سراح قتلة الثوار ويتصالح مع رموز النظام السابق قبل أن يقف فجأة مع نفسه ليرى أن كل هذا لم يفعله أحمد شفيق ولكن فعله محمد مرسي أول رئيس مدني منتخب!!

على مقربة منهم يجلس شهداء فترة ما بعد الثلاثين من يونيو .. يجلس شهداء الجيش في رفح والشيخ زويد والعريش وجبل الحلال وأحداث المنصة مع زملائهم من شهداء الشرطة في كرداسة وناهيا والعديد من الكمائن الأمنية ومديريات الأمن والتي تم إستهدافها من

بعد عزل محمد مرسي ومعهم النائب العام هشام بركات وهو يشرح لهم كيفية تقديم الفاسدين للمحاكمات العادلة وأهمية تغيير بعض القوانين التي عفا عليها الزمن وتكبل أيدي القضاة الشرفاء في تقديم المتهمين للعدالة السريعة .. يجلس شهداء الأمن وهو يقدمون الشراب البارد لشهداء فض إعتصامي رابعة والنهضة وشهداء الغدر من التفجيرات الخسيسة والعمليات التي إستهدفت الأبرياء من أبناء ذلك الشعب والذين جلسوا بجانب إخوتهم في سلام ونقاء لم يكن ليحدث أبدا في حياتهم الأرضية

يجلس الشهداء في نهاية كل يوم على طرف البحيرة الكبيرة ويبدأون في الحديث عن مصر وما آلت إليه أحوالها فشهداء ثورة الخامس والعشرون من يناير يحملون شهداء الفترة الإنتقالية وشهداء عهد الرئيس مرسي المسئولية لأنهم سلموا الراية إلى الإخوان والمجلس العسكري وانسحبوا سريعا من الميادين دون تشكيل مجلس رئاسي مؤقت والإتفاق على ما سيتم فعله في الفترة الإنتقالية بجدول زمني محدد وكتابة دستور قوي يكفل حياة كريمة يسودها العدل والحرية والإخاء والمساواة بين جميع أفراد الشعب المصري بينما يدافع شهداء الفترة الإنتقالية عن أنفسهم بأنهم فهموا اللعبة متأخرا وعرفوا بالإتفاق بين الجيش والإخوان بعد فوات الأوان ولذلك ثاروا واستشهدوا لذلك فالمسئولية تقع على كاهل شهداء عهد مرسي لأنهم من أتوا به لكرسي الحكم فينبري أحد شهداء عصر مرسي ويؤكد صعوبة الإختيار الذي كان محصورا بين قاتلا للثوار وخائنا لهم فكان الخياران أحلاهما مرا بالإضافة إلى أنه قام بالتعهد بتحقيق مطالب الثورة وعندما لم ينفذها ثرنا ضده واستشهدنا في كل ربوع مصر بينما ينقسم شهداء ثورة الثلاثين من يونيو إلى قسمين .. القسم الأول وهو شهداء الأجهزة الأمنية يحملون المسئولية كاملة للجماعات الإرهابية

المسلحة بينما القسم الثاني وهو شهداء فض رابعة والنهضة فيحملون الأمن المسئولية لقوته المفرطة في فض الإعتصام على الرغم من وجود العديد من الأبرياء بداخله وعدم التعامل بحكمة وضبط نفس مع المعتصمين الأبرياء ومعاملتهم كأنهم كلهم كانوا يحملون السلاح

فجأة يدوي صوت عميق يوحي بأن هناك شهيدا جديدا قادما لينضم لإخوته في عالم برزخ الشهداء ويقف الجميع في إنتظار حضوره لإستقباله

يتقدم مجموعة من الأطفال والشباب وعلى وجوههم إبتسامة عذبة كافية لجعل صاحب أغلظ قلب يلين ويبادلهم الإبتسامة .. يتقدم منهم الشيخ عماد عفت ليستقبلهم ويسألهم عن سبب وفاتهم مبكرا هكذا قبل أن يتقدم منه شاب في أواسط العشرينات من عمره ويقول :

-نحن يا شيخنا الحبيب شهداء الإهمال في مصر .. منا من توفى في حادثة على الطريق .. ومنا من توفى في مستشفى حكومية وهو يتلقى العلاج .. ومنا من توفى في مشاجرة مع بلطجية سواء تابعين للنظام أو مستقلين بذاتهم .. ومنا من توفى بطعام مسرطن ومياه ملوثة .. ومنا من توفى في أقسام الشرطة .. ومنا من توفى جراء تفجير .. ومنا من توفى وهو يحاول إحضار طعام لأسرته يسدون به جوعهم .. تعددت الأسباب يا شيخنا والنتيجة هي الموت .. كلكم هنا تتناقشون حول من السبب في ما إلنا إليه ولم يهتم أحدكم بنا نحن .. الجيل الجديد الذي سحقتموه تحت أقدامكم بلا أي إهتمام .. الجيل الذي تستخدمونه في شعاراتكم وأحاديثكم قبل الحصول على السلطة وبعد الحصول عليها لا تكتفوا بنسيانه بل تسحقوه سحقا .. الجيل الذي تتغنون به ثم تستبعدوه من تولي المناصب القيادية وتأتون بشيوخكم ولا تكتفون

بذلك بل تزجون بنا في السجون أو تنهوا الأمر مبكرا بإزهاقكم لأرواحنا.. نعم يا شيخنا الحبيب .. نحن أولئك المظلومين دوما

فرت دمعة من عين الشيخ عماد لم يستطع كتمانها وهو يضم ذلك الشاب في أحضانه بقوة ويترك لدموعه العنان قبل أن ينطلق ذلك الصوت العميق مرة أخرى معلنا وصول دفعة جديدة من الشهداء لينضموا لزملائهم المنتظرين في ذلك المكان

في إنتظار القطار

-تذكرة إلى أول قطار متجه إلى القاهرة

نطقت تلك الكلمة وأنا أناول محصل التذاكر النقود قبل أن يعطيني التذكرة ويخبرني أن أول قطار متجه إلى القاهرة لن يأتي قبل ساعتين

تركته وذهبت لأجلس على الرصيف ، ذهني مشوش تماما وضربات قلبي تتسارع .. لم أكن أتخيل في يوم من الأيام أن أفعل ما فعلته منذ دقائق قليلة

أخرج سيجارة من جيبي وأشعلها وابدأ في سحب الأنفاس المتتالية منها في توتر واضح .. يعبر الآن شريط حياتي أمامي منذ تلك اللحظة الفارقة التي غيرت مجرى حياتي تماما

إسمى فتحي ضاحي القط أو " الجط " كما ننطقها هنا في محافظة أسيوط بدأت قصتي في يوم إعلان نتيجة الثانوية العامة وكنت أريد أن أطير من الفرحة لأبشر أبي وأمي بنجاحي ولكن ما إن وصلت إلى بيتنا حتى سمعت أصوات الصراخ والعويل تنطلق من البيت

كالمجنون دخلت البيت مسرعا ففوجئت بأمي تجلس على الأرض وتلطم خديها وتصرخ بأن أبي قد مات

هوى الخبر عليّ كالصاعقة ف جمدني في مكاني للحظات قبل أن يأتي الشيخ عبد العليم إمام مسجد القرية ويأخذني في أحضانه ويهمس في أذني بقول الله تعالى " والذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون " ثم أخذني للخارج وأجلسني على الدكة الموضوعة أمام البيت وأخبرني أن أبي وهو في عمله بمصنع الأسمنت وقع عليه كتلة من الأسمنت أودت بحياته وأخذ يبشرني بأن أبي من الشهداء لأنه توفى وهو يمارس عمله ولكنني لم أكن معه في تلك اللحظات.. كنت كالمغيب عن العالم .. أسعد يوم في حياتي بطبيعة نجاحي في الثانوية العامة تحول إلى أسوأ وأتعس يوم فيها برحيل أبي بصفته رب الأسرة وعائلها الوحيد وعليه وبما إنني إبن وحيد فقد إنتقلت مسئولية إعالة الأسرة إليّ لتسقط على كاهلي

في مساء ذلك اليوم جلست مع أمي بعد إنتهاء مراسم العزاء وسألتني وهي تبكي :

-ماذا سنفعل الآن يا فتحي ؟ ومن أين سنأكل ونعيش يا بني بعد رحيل أبيك ؟

أجبتها وأنا أنظر إلى الفراغ :

-التدابير على الله يا أمي سأنزل غدا وأبحث عن أي عمل يكفل لنا الحياة

سألتني أمي من بين دموعها :

-وحلمك يا بني أن تلتحق بمعهد أمناء الشرطة

أجبتها في حدة :

-أي حلم هذا يا أمي ؟ وكيف أتركك بلا أي مصدر للحياة الكريمة ؟ لقد إنتهت فترة الأحلام وبدأت كوابيس الحياة في الظهور

أمسكت أمي بكتفي وهي تقول :

-لا تقل ذلك يا بني لقد أخبرني بعض أهالي القرية أن أبيك رحمه الله يستحق تعويضا كبيرا من الشركة لأنه توفى أثناء عمله وسوف أذهب إليهم في الغد لأرى ذلك الأمر

إبتسمت بسخرية وأنا أقول :

-ليقل الناس ما يريدون .. إنها شركة قطاع عام تابعة للحكومة ومنذ متى صرفت الحكومة تعويضا لأي شخص توفى بسببها

قالت أمي وهي تتشبث بأملها :

-ليقضي الله هذا الأمر يا بني ولكن ولأجل خاطري لتذهب إلى معهد الأمناء وتسأل عن شروط الإنضمام إليه .. إنه حلمك وحلمي وحلم أبيك رحمه الله فلا تضيعه والحمد لله نحن نملك من المال ما يكفينا للأشهر الأربعة القادمة

قلت لها في لين :

-حسنا يا أمي سأفكر في هذا الموضوع وما كتبه الله سينفذ

في الأيام التالية نفذت ما وعدت به أمي ذهبت لأسأل عن شروط الإنضمام إلي معهد أمناء الشرطة وفي نفس الوقت أبحث عن عمل بالمؤهل الذي أمتلكه وهو الثانوية العامة وبطبيعة الحال لم أجد أي وظيفة تناسبني

في نهاية الشهر الرابع جلست وحيدا في حجرتي وأنا أفكر في المستقبل .. معهد أمناء الشرطة لن يقبلني إلا في وجود توصية من أحد الكبار وأنا لا أملكها .. والمال الذي تركه لنا أبي أوشك على النفاذ ولم يبقى سوى النذر اليسير الذي لن يكفي سوى لأيام معدودة .. ولم أجد وظيفة تناسبني أستطيع منها أن أنفق على نفسي وعلى أمي ..

الدنيا ترتدي حلّتها السوداء القاتمة وتتراقص بظلامها أمام عيني وبينما أنا في قمة إحباطي دخلت أمي علي وهي مبتسمة وتحمل حقيبة في يدها وتقول لي :

-هل رأيت فرج الله يا فتحي ؟

سألتها في سرعة :

-ماذا حدث يا أمي ؟

جلست بجانبي وهي تقول :

-قضية التعويض الذي يستحقه أباك والتي أخبرتك عنها من قبل ولم تكن متحمسا لها ، لقد ذهبت منذ أكثر من شهر إلى مقر الشركة وقدمت طلب لهم بإستحقاقنا للتعويض وشرحت لهم ظروفنا ووعدوني بالنظر في الأمر وبالأمس وأنت بالخارج أرسلوا إلي أحد موظفيهم يطلب مني الحضور إلى مقر الشركة غدا وبالفعل ذهبت إليهم اليوم لأجدهم يصرفون لي تعويضا قدره ثلاثون ألفا من الجنيهات

سألتها :

-ولماذا لم تخبريني بذلك يا أمي ؟

نظرت إلي وهي تجيبني :

-لم أشأ يا بني أن أدعك تبني أحلاما على ذلك المبلغ دون أن نتأكد من وجوده

إبتسمت من رحمة الله وأنا أقول :

-لا أصدق نفسي يا أمي أخيرا رضى الله عنا

أكملت أمي حديثها في فرح :

-ليس هذا فقط يا فتحي ولكنني تحدثت إلى رئيس مجلس إدارة الشركة والذي كان يحب أبيك رحمه الله وأخبرته عن حاجتك لتوصية منه للإلتحاق بمعهد أمناء الشرطة ووافق الرجل إكراما لذكرى أبيك وقام بإجراء إتصالاته أمامي ويريد منك أن تذهب غدا بهذا الكارت إلى المعهد

تناولت الكارت من أمي وأنا لا أصدق ما حدث .. منذ ربع ساعة فقط كانت الحياة مغلقة تماما أمام عيني والآن أشعر بأنها تفتح لي أبوابها وتبتسم في وجهي .. بفضل رئيس الشركة سألتحق بمعهد أمناء الشرطة كما أن هذا المبلغ سيؤمن لأمي معيشة رغدة في غيابي أثناء فترة الدراسة .. أخيرا بدأت الحياة في التحسن

في السنتين التاليتين تحسن كل شئ .. تخرجت من المعهد والتحقت بالعمل في وحدة شرطة قسم أول ملوي بالمنيا فأصبحت أقيم بصورة شبه دائمة ما عدا يومي الخميس والجمعة .. رفضت أمي بإصرار المجئ للعيش معي وبررت موقفها بعدم إستطاعتها الخروج من قريتنا كما أن أموال التعويض تؤمن لها معيشة جيدة ولذلك رفضت أخذ أي أموال مني بحجة أنني أعزب وبحاجة إلى المال

أصبحت أعمل طوال أيام الأسبوع وأسافر صباح الخميس لقريتي لأقضي مع أمي يومي الخميس والجمعة ، وبدأت أمي في البحث لي عن عروسة بما أنني توظفت وأصبح لي دخل ثابت مما يجعل مهمة الزواج سهلة على الرغم من تكاليفها العالية في هذا الزمان وتواضع مستوى أسرتنا في القرية

اليوم هو عيد ميلاد أمي .. حاولت كثيرا مع الضابط وليد أن يسمح لي بتقديم أجازتي حيث أن اليوم هو الثلاثاء ولم يوافق إلا عندما تدخل عبد الفتاح ووافق على تبديل موعد أجازته معي

سأفاجئ أمي بأفضل مفاجأة في عمرها .. ذهبت إلى محل الحلويات الشرقية وأحضرت لأمي الكنافة بالقشدة التي تعشقها وركبت القطار متجها إلى قريتي

عندما وصلت البيت ليلا حرصت على فتح الباب بهدوء حتى لا تشعر بي أمي وأفاجئها بحضوري في غير موعدي وهو ما حدث حيث دخلت بهدوء وأخذت أبحث عن أمي في المطبخ أو الردهة فلم أجدها فذهبت إلى غرفة نومها وطرقت الباب بخفة حتى لا يصيبها الذعر ولكنها لم تستجب فأتى في ذهني أنها ربما تكون نائمة ففتحت الباب بهدوء لأراها .. وهنا رأيت ذلك المشهد الذي لن يمحى بأي حال من الأحوال من ذاكرتي

كانت أمي نائمة على السرير عارية تماما ويعتليها عمدة قريتنا وهي تصرخ من فرط النشوة !!!

شل جسدي وعقلي من الصدمة للحظات قبل أن يشعروا بوجودي فالتفتت أمي إلي بخوف واضح وقبل أن تتكلم أو يتكلم ذلك الوضيع كنت قد استللت سلاحي الميري وأطلق رصاصة على رأس كل منهما لأردبهما قتيلين في الحال !!!

ظللت قرابة الساعة جالسا مذهولا على الأرض من وقع الصدمة قبل أن أتخذ قراري بالفرار من القرية والصعيد بأسره .. سأتجه إلى القاهرة وأذوب بين أهلها

الآن أجلس على رصيف المحطة في إنتظار القطار .. أفكر في سبب ما حدث .. لماذا باعت أمي جسدها وشرفها لذلك الوغد ؟ لماذا إرتضت أن تكون مجرد عاهرة تبيع جسدها لمن يدفع الثمن ؟ أبسبب غيابي الكثير عن المنزل أم بسبب عمرها الصغير أم ؟ أم ؟ أم ؟

قطع مجئ القطار على الرصيف المقابل القادم من القاهرة حبل أفكاري فاعتدلت في جلستي حتى لا ألفت الأنظار ومن بين الظلام رأيت شخصا يشير لي من الناحية الأخرى

كان هذا الشخص هو الشيخ عبد العليم الذي أتى إلي وسألني :

-فتحي يا بني كيف حالك وما الذي أحضرك اليوم ؟

إرتبكت قليلا وأنا أجيبه :

-أنا بخير يا مولانا وقد جئت اليوم إجازة قبل أن يتصل بي الضابط ويطلب عودتي على وجه السرعة لدرجة أنني لم أستطع إلقاء السلام على أمي

إبتسم وهو يربت على كتفي قائلا :

-كان الله في العون يا بني وبمناسبة سيرة والدتك هناك موضوع هام أخفيه عليك من فترة كنت أريد محادثتك فيه وأشعر أن الوقت قد حان لذلك

وقع قلبي في قدمي من خوفي الشديد أن تكون الفضيحة قد إنتشرت وعلم بها الناس ولكني إستجمعت شتات نفسي وسألت الشيخ:

-خير يا مولانا إن شاء الله ؟

نظر الشيخ إلي وهو يقول :

-في الحقيقة يا بني بعد وفاة والدك بثلاثة أشهر أتى إليّ عمدة قريتنا وطلب مني أن أفاتح والدتك في مسألة زواجه منها على سنة الله ورسوله .. وكنت قد طلبت منه الانتظار حتى نهاية شهور العدة في البداية فوافق وانتظر معي ثم قمنا بالذهاب إلى والدتك أنا والعمدة

وفاتحها في هذا الأمر أمامي وعرض عليها أن يتكفل بها وبك حتى تبلغ أشدك ولكنه إشترط إخفاء خبر الزواج لأنه متزوج ولا يريد جرح شعور زوجته الأولى لأنها لا تنجب .. ووافقت والدتك وتم الزواج الشرعي على يدي ولتعلم يا بني أن الشركة التي كان والدك يعمل بها لم تصرف أي مليم تعويضا عن وفاة والدك لأنها إعتبرت وفاته ناتجة عن إهماله ولكن العمدة هو من دفع النقود تحت ستار التعويض حتى تستطيع والدتك الإنفاق عليك وعلى نفسها بدون أسئلة من الناس كما أنه من قام بالتوصية عليك للإلتحاق بمعهد أمناء الشرطة وفي الأسبوع الماضي يا بني توفت زوجة العمدة الأولى وبعد العزاء كلفني بإخبارك بذلك السر ونيته في إشهار زواجه من والدتك وأخذها لتعيش معه في بيته الكبير وأنه يريد أن يزوجك من إبنة شيخ البلد الكبرى وسيتكلف هو بكل مصاريف الزيجة لأنه يعتبرك إبنه الذي لم ينجبه وها أنا يا بني أطلعك على السر الذي كتمته قرابة العامين وكلي ثقة في تفهمك للأمر خصوصا أن كل شئ تم بما كتب الله وقضى .. سأتركك تفكر يا بني حتى موعد عودتك القادمة وكلي ثقة في معرفتك بأمور دينك ورجاحة عقلك

قال الشيخ عبد العليم تلك الكلمات ثم تركني ورحل وأنا انظر إليه في ذهول

مادت الأرض بي فجأة فوقعت على الأرض ... اختلطت المشاعر بداخلي ولازمني إحساس بأن شخص ما قد أمسك بمطرقة وأخذ يهوي بها على رأسي ، أهذه هي الحقيقة ؟ أكانت أمي متزوجة على سنة الله ورسوله ؟ ألم تكن زانية ؟ ألم تبع جسدها للعمدة ؟أحقا فعل العمدة كل ذلك من أجلي بدءً من نقود التعويض الوهمية مرورا بتوصيته علي للإلتحاق بمعهد أمناء الشرطة نهاية بتحمله مسئولية زواجي ؟

لقد قتلت أمي التي أفنت حياتها كاملة لأجلي أنا فقط .. وقتلت كذلك الرجل الوحيد في تلك الحياة الذي أهتم لأمري بعد والدي .. أصبحت مجرد قاتل لا أكثر ولا أقل .. ومن قتلت ؟ قتلت أمي وزوجها .. أخذت الدموع تنهمر من عينيّ وأصبحت أتنفس بصعوبة ولا أشعر بالأرض من تحت قدميّ

قاطعتني صوت صفارة عالية تعلن مجئ القطار المنتظرأخرجتني من حالتي ، أحاول بصعوبة أن أقف من مكاني وقد إتخذت قراري بإستقبال القطار

بالأحضان

وقبل أن أقفز أمام القطار صحت بكلمة واحدة :

-سامحيني يا أمي

التاج

" أميرة فقدت تاجها "

أتذكر الآن تلك الجملة التي سمعتها من صديقاتي مبكرا اليوم .. كن يعتقدن أنني نائمة أو تحت تأثير المخدر فأخذوا يتحدثون على أريحتهم ويمصمصون شفاههم على ما حدث لي وما آلت إليه أحوالي

ولكنني كنت في كامل وعي

سمعتهن جميعا وسمعت ما كنّ يتحدثن عنه

عرفت من منهن كانت الصادقة ومن كانت الشامتة

ومن كانت تتغزل في زوجي وتنعى حظه السئ الذي أوقعه في

ولكن كيف حدث هذا

أقف على قدميّ بصعوبة وأتجه نحو المرآة المقابلة للسرير الذي أرقد عليه وأقف أمامها

من تلك المرأة الواقفة أمامي ؟

أرفع يدي لأتحسس وجهي وأتأكد أن ذلك الإنعكاس الظاهر أمامي في المرآة يخصني أنا وليس أخرى وأفكر كثيرا

أ كل هذا نتاج شهر واحد فقط من تلك الرحلة الكئيبة؟

أتطلع مرة أخرى إلى انعكاسي في المرآة .. أنظر إلى الجلد الشاحب الذي يذكرني بجلد مصاصي الدماء الذي كان يظهر في الأفلام الأجنبية .. أخاف من التفكير من أنني قد أحترق مثلهم إن وقفت قليلا في الشمس

عيناي فقدتا كل مظاهر الحياة فقط ذلك الشعاع البسيط المنبعث منهما هو ما يدل على إستمرار الحياة في ذلك الشخص .. هالات السواد إنتشرت تحتهما حتى بدا وكأنني أضع الكثير من مساحيق التجميل السوداء لأتشبه بالساحرات القدامى في العصور الوسطى

شفتاي أصبحتا كشفتيّ ميدوسا إن كنت قد رأيتها من قبل .. لم ترها ؟ لا ألومك فنظرة واحدة فقط من ميدوسا الجميلة كفيلة بتحويلك لتمثال من الحجارة لبقية حياتك

أتأمل رأسي وقد نزع عنه تاجه .. يقولون هنا إن الأمر مؤقتٌ ولكنني لا أثق فيهم .. إنهم يكذبون كالمعتاد حتى لا يحطموا حالتي النفسية

أضحك بعصبية عند تلك الجملة .. " حالتي النفسية " .. عن أي حالة يتحدثون .. إمرأة فقدت تاجها وفقدت ثدييها رمز الأنوثة في كل فتاة تحيا وبعد ذلك يتحدثون ويتشاورون عن كيفية رفع حالتها المعنوية !!!

لعن الله السرطان في كل وقت وفي كل زمان

ألم أخبرك بأنني مريضة بالسرطان ؟ لابد أنني قد نسيت .. سامحني فذلك العلاج يؤثر علي وعلى ذاكرتي كثيرا جدا

شهر واحد فقط من زواجي بحب عمري فارس إكتشفت تلك المفاجأة

أنا مريضة بسرطان الثدي ولابد من عملية سريعة لإستئصالهم وبعد ذلك شهران من العلاج الكيميائي لأن ذلك المرض لم يكتفي بإصابتي في ثديّ بل وزع هداياه اللعينة على أجزاء أخرى من جسدي

آه يا فارس .. فلتسامحني يا حبيبي لم أستطع منحك السعادة غير شهر واحد فقط وبعد ذلك بدأت رحلة العذاب الغير منتهي معي .. لا أريد تذكر تلك التفاصيل مرة أخرى

أعيد النظر إلى جسدي عندما تباغتني تلك الفكرة

هل سيتحملني فارس بعد مرضي ؟ وإذا تحملني اليوم هل سيتحملّني غدا ؟ لماذا يربط مصيره بإمرأة تبدأ نهايتها .. إمرأة فقدت تاجها ورمز أنوثتها .. إمرأة لا يعرف أحدا إن كانت ستستطيع أن تنجب له الفتاة التي يتمناها وإن أنجبتها هل ستستطيع تربيتها .. ولمتى

أجر قدميّ عائدة إلى ذلك السرير الكئيب منتظرة قدوم فارس .. منع الأطباء عني الزيارة منذ بداية العذاب الكيميائي واليوم فقط سمحوا لي بالزيارة بعد إستقرار الحالة .. إعتذر فارس عن زيارتي في بداية اليوم وفضل تركي قليلا مع صديقاتي .. تحجج بالعمل الهام وعدم مقدرته على الرحيل مبكرا ولكنني كنت في حالة عميقة من الشك

أيتخلى فارس عني ؟ هل سيتركني ويبحث عن فتاة أخرى لتشاركه حياته ؟ لا ألومه كثيرا مع أن رحيله يعني موتي وإن كنت مازلت على قيد الحياة ولكن من حقه أن يبحث عن مستقبله .. لن يكمل حياته مع إمرأة تنتظر الموت في كل لحظة .. حبي له يمنعني من تركه يربط مصيره بي وقد فقدت كل ما يجعلني جميلة في عينيه

يدق باب الغرفة ثم يدخل حبيبي فارس .. مازال وسيما كعهدي به ولكن ما هذا أين ذهب شعره ولماذا تظهر حواجبه خفيفة إلي هذا الحد وأين ذهبت تلك الذقن الرفيعة المحببة إلينا والتي يمتاز بها فارس ..

أنظر إليه وأهم بقول أي شئ قبل أن يبادرني ويأخذني في أحضانه.. يا إلهي لكم إشتقت لذلك الحضن .. لكم إشتقت أن نعود ويذوب جسدانا معا مرة أخرى .. أنظر في عينيه وأنا أحاول حبس الدموع في عينيّ قبل أن يبادرني قائلا وهو مبتسم :

-ما رأيك يا عزيزتي في هذا التغيير الجذري .. لم أرد أن تكوني بمفردك أنتِ من تغيرين منظرك إلى الأجمل

أنظر إليه مليا وأفشل في حبس دموعي فتسيل بشدة على وجنتيّ فيأخذني فارس في أحضانه بشدة ويضع إصبعه على فمي ليمنعني من الحديث قائلا :

-لا تبكِ يا حبيبتي الحمد لله أننا أنهينا مرحلة العلاج وسنذهب معا لبيتنا وأعدك بأننا سنجدد شهر عسلنا من جديد .. هل تعتقدين أن ذلك ال سرطان بإمكانه أن يجعلني أتوقف عن حبك أو أن يؤثر على حياتنا ؟ كل ما يستطيع فعله هو تكديرنا قليلا قبل أن نقضي عليه تماما .. نحن معا ولن نترك بعضنا البعض أبدا وسنسحقه معا بعون الله .. لا تعتقدي يا أميرة أن إستئصال صدرك أو فقدانك لشعرك أو تاجك كما تحبي أن تسميه يفرق معي في شئ .. أنا أحبك أنتِ .. لنفسك .. لو كان حدث لي أي حادثة هل كنت ستتركيني ؟ بالطبع لا .. إسمعي يا أميرة أن أحبك في كل الأحوال وأذوب فيكِ عشقا ولن أتركك أبدا ولن أسمح لأي شئ أن يبعدني عنك أو أن يكدر حياتنا.

تزداد دموعي بشدة بعد كلمات حبيبي فارس وأنظر إليه وأنا أفكر في كلامه قبل أن يكمل حديثه قائلا :

-نعم .. لن نترك ذلك الشي المسمى بالسرطان أن يفسد حياتنا أو يوقفها .. سنعيش حياتنا معا يا حبيبي حتى النهاية وليذهب أي شئ إلى الجحيم حتى لو كان تاجك الذهبي الرائع ولكن اتأكد في تلك اللحظة أن تاج المرأة ليس في شعرها ولكن في حبيب يجعلها ملكة حتى بدون تاج

أنظر إلى فارس وأقول له في شوق شديد :

-قبلني يا فارس

الملاك المنبوذ

-لماذا تأتي بسيرته الآن يا رجل ؟ لتذكر الله في قلبك وتغير الموضوع تماما فنحن لا نريد لليلتنا أن يعكر صفوها أي شئ

استمعت لتلك الجملة وهي تلقى في ذلك المجلس المصغر لمجموعة من البشر وأنا في طريقي إلى مهمة جديدة مكلف بها .. ابتسمت ابتسامة خفيفة وأنا أتذكر كيف كنت أحزن في البداية عند سماعي لمثل تلك الكلمات التي تقال بحقي عند ذكري في أي حديث ولكنني وبمرور السنوات والعقود الطويلة إعتدت عليها ولم تعد تؤثر فيّ كالسابق بل أصبحت أشعر بالغبطة حين استمع إليها وأرى خوفهم مرتسم في محياهم وعلى ملامحهم

أصل بلمح البصر إلى مكان مهمتي الجديدة وألق ببصري ناحية المراد .. شيخا كبيرا تجاوز الثمانين من عمره ببضعة سنوات يجلس على فراشه وهو بين اليقظة والنوم ويمسك بيده اليمنى مسبحة يحرك عقودها بإنتظام شديد .. أقترب منه في هدوء وما إن أصبحت أمامه تماما وقبل أن ابدأ في عملي أجده يفتح عينيه فجأة ويبتسم لي كمن رآني .. لم تكن إبتسامة مفاجأة أو إبتسامة مجاملة .. لا .. ليس ذلك .. لقد كانت إبتسامة شوق للقاء .. كمن التقى لتوه بصديق قديم غاب عنه فترة طويلة .. لا أقف طويلا عند إبتسامته وأقوم بعملي المعتاد منذ بدء الخليقة بقبض روحه

أنهي عملي في سرعتي المعتادة لأتجه بعدها إلى مهمة أخرى جاءني التكليف بها من رب العالمين لقبض روح ثانية من عباده .. نعم .. أنا هو ملك الموت المكلف بقبض أرواح عبيد الله في السماء والأرض حتى قيام الساعة .. أنا هو الملاك المنبوذ الذي يخشاه جميع خلق الله من بشر أو جان أو حتى ملائكة ويتشائم منه المعظم كما حدث وسمعت حديث بني آدم من قبل .. أنا هو المكلف بإنهاء حياة جميع الفانين من خلق الله الذين أتت لحظتهم وشهد لحظاتهم الأخيرة

أصل مرة ثانية بلمح البصر إلى مكان مهمتي الجديدة وألق ببصري ناحية المقصود تلك المرة .. طفلا صغيرا لم يتجاوز العام من عمره يبدو عليه علامات الإعياء وسكرات الموت والذي لا يستطيع أن يعبر عنه إلا ببكاء مرتفع تحمله أمه وهي تبكي بشدة وتبتهل إلى الله بشفاء وليدها الصغير بينما يتجمع حولها عدد من النسوة يواسينها .. أقترب قليلا من الطفلا لأجده يتوقف عن بكائه وينظر إلي ويبتسم إبتسامة صغيرة عذبة قبل أن أقوم بعملي المعتاد ليختف بريق الحياة من عينيه وتسقط رأسه الصغيرة على صدر أمه لأنصرف سريعا قبل أن تبدأ في إطلاق الصرخات الملتاعة وربما اللعنات أيضا في تلك اللحظات العصيبة عليها

لا تمتعض أرجوك إنه عملي المعتاد المكلف به منذ بدء الخلق حتى نهايته .. أنا لم أختر تلك المهمة كما لم يختر أي من إخوتي مهامه ولكنها مشيئة رب العالمين ولا رادٍّ لمشيئته أبدا .. أنا فقط مكلف بمهمة أفعلها بغض النظر عن أي إعتبارات أخرى كما يحمل إخوتي عرش الرحمن أو كما يهتم ميكائيل بأمر المطر والنبات أو كما يطوف الملائكة المعتمرون بالبيت المعمور أو ك إسرافيل ينتظر أمام الصور لأمر ربي لينفخ فيه نفخات ثلاثة ليفزع ثم يصعق ثم يبعث كل خلق الله .. أو كأخي الحبيب جبريل حامل الوحي وكلمة الله إلى مرسليه في الأرض

أتجه إلى مهمة جديدة جاءني التكليف بها فأنفذ أمر ربي سريعا بلا تفكير

أصل لثالث مرة بلمح البصر إلى مكان مهمتي الجديدة وألق ببصري ناحية المراد.. شخص في منتصف العمر تبدو عليه علامات الإمارة من ملبسه وطريقة جلسته وتعابير وجهه الحادة والتي تشف عن بأس شديد وقوة لا يستهان بها

في المعتاد يشعر من إقترب بدنو أجله بحضوري .. سواء براحة أو بخوف غير مفسر .. ولكنني أجد هذا الرجل لا ينتبه لوجودي البتة ويستمر في قراءة بعض الأوراق الموجودة أمامه وهو يعطي بعض التعليمات لمن يقفون مرتعدين أمام هيبته بضرورة تشديد الرقابة على البعض وتضييق الخناق على البعض وإلقاء القبض السري على البعض الآخر ومن يقف أمامه ويتلقى أوامره يبتسم في خنوع كامل ويؤكد على كلامه ويضيف بضرورة وضع الصعاب أمام بقية الناس من حيث أمور المعيشة الأساسية أو الحياة بوجه عام وقطع أي لسان معترض حتى لا يفكر أي منهم بأي شئ إلا كيفية مواجهة ظروف الحياة والاستمرار فيها بدون أي أمل في تحسينها

أمتعض من ذلك الحديث وأتجه سريعا ناحيته لأنفذ مهمتي .... مسكين ذلك الرجل يتباهى بقوته وجبروته وهو يصدر أومراه هنا وهناك ولا يدري أن أجله قد انتهى ولن يستطيع أن يرى حصيلة أوامره ... اقترب منه لأجده يلمحني بطرف عينيه .. لا أجد إبتسامة هذه المرة بل أجد رهبة وفزع شديدين لا أطيلهما عليه بقبض روحه سريعا بين أفراد حمايته والذي ظن أن أحدا لن يستطيع الوصول إليه بينهم قبل أن أتركه جثة هامدة وأذهب سريعا إلى مهمة أخرى

أنا ملك الموت وهذه هي حياتي المعتادة وتسير دوما على الوتيرة ذاتها

أنا كلمة الله المؤقتة في الحياة الدنيا تجاه عبيده قبل أن يفصل جل وتعالى بينهم يوم القيامة

أنا الذي سيشهد نهاية خلق الله ونفخات إسرافيل الثلاثة

لا أفكر كثيرا في مهامي المكلف بها أو أسمح لمشاعري بالتدخل فيها فكل أمر إلهي ورائه حكمة قد أستطيع أحيانا أن أستشفها وقد يحجبها الله عني

أتذكر جيدا عندما ذهبت لأقبض روح إمرأة وحيدة مع رضيعا لها ترضعه وهما في صحراء قاحلة ليس حولهما أحد .. عندما رأيتها وحيدة في تلك الجرداء ومعها رضيعها وليس حولهما أحد وأنا قد أتيت لأقبض روحها لم أتمالك نفسي ودمعت عيناي من ذلك المشهد رحمة بذلك الرضيع .. غير أنني مأمور للمضي لما أرسلت له .. فقبضت روح الأم ومضيت .. بعد تلك القصة التي تعايشت معها بألمها وأحزانها وتأثيرها عليّ بسنوات طويلة أرسلني الله لأقبض روح رجل من الناس فلما أتيت إلى الرجل المأمور بقبض روحه وجدته شيخا طاعنا في السن متوكئا على عصاه يقف عند حداد ويطلب منه أن يصنع له قاعدة من الحديد يضعها في أسفل العصى حتى تثبت في الأرض ولا تنهار تحت ثقل قدميه ويوصي الحداد بأن تكون قوية لتبقى عصاه سنين طويلة عند ذلك لم أتمالك نفسي ضاحكا ومتعجبا من شدة تمسك وحرص هذا الشيخ وطول أمله بالعيش بعد هذا العمر المديد وهو لا يعلم بأنه لم يتبقَ من عمره إلاَ لحظات .. حينها أوحى لي الله سبحانه وتعالى قائلا : ف بعزتي وجلالي إن الذي أبكاك هو الذي أضحكك .. نعم .. ذلك الرضيع الذي بكيت عندما قبضت روح أمه قديما هو ذلك الشيخ الذي ضحكت من شدة حرصه على الحياة

وهناك مثلا ذلك الطفل الصغير الذي قبضت روحه منذ قليل .. قد تجدون ذلك الموقف في غاية القسوة أن تحرم أم من وليدها صغيرا وقد يرى البعض أن الله أراد أن يريحه من مرضه وأن يبدلها خير منه قريبا وقد يرى الآخر أن ذلك الطفل قد يصبح شقيا عندما يشتد عوده ويجلب المتاعب لوالديه ولذلك أراد سبحانه وتعالى أن يريحهما منه صغيرا ليظلا محتفظين في ذاكرتهما بذكراه الطيبة ويكون اليد التي تمتد لهما يوم الحساب ليدخلهما الجنة جزاءً لصبرهما إن صبرا

وذلك الرجل القوي ذي الإمارة .. ربما أراد الله أن يريح من تحت إمرته منه ويعطيهم فرصة أخرى لإختيار من يصلح لإدارة أمورهم بما يرضى ويرضون .. أو ربما يخبئ القدر لهم من هو أسوأ منه كثيرا .. من المؤكد أنهم ينالون ما يستحقون فما ربك بظلام للعبيد

وذلك الشيخ الذي بلغ من العمر أرذله ولكنه وحسب ما رأيت قضاه عابدا طائعا لله سبحانه وتعالى لذلك لم يفزع لرؤيتي ورآني كطيف أبيض أو كصديق قديم أتى لينقله لمكان آخر حتى يجزى على ما فعله في حياته الدنيا

إنها حكمة الله التي لا نراها في وقتها وقد نعلم بها أو لا نعلم .. ولكن يجب علينا الإنصياع لها والرضا بها ... لكن البشر أنفسهم هم من إختلفوا كثيرا عن أسلافهم

أرجع بذاكرتي مئات السنوات للوراء .. عندما كان الناس لا يخشون الموت ويقبلون عليه فرحين آملين بلقاء ربهم .. متمنين جناته ومنتظرين بشوق لقاء من سبقوهم .. فماذا حدث للناس ؟

لماذا أصبحوا متكالبين على الدنيا الفانية بتلك الطريقة ؟

لماذا صاروا كارهين للموت هكذا ؟

لماذا أصبحوا يستبيحون كل المعاصي أملا منهم أن يطيلوا حياتهم الدنيا ويحصلوا فيها على كل شيء ؟

لماذا يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ؟

لماذا نسوا ربهم وأصبحوا لا يتذكرونه إلا في الصعاب والشدائد ؟

كعادتي ... أجلس اتساءل عن كل شيء وأحار في أمر هؤلاء البشر حتى يأتني أمر جديد من ربي فأتوقف عن إجترار الذكريات والتفكير واتجه لتنفيذه فورا

إجتماع القمة الجسدية

لم يكن يتخيل ذلك الكائن البشري والذي يطل يوميا على شاشة التلفاز في أشهر القنوات المصرية وأكثرها متابعة من قبل سائر الشعب المصري أنه ما إن بدأ يتعمق في نومه أن اجتماعا هاما ومصيريا على وشك البدء

في جسده

فقد قرر أعضاء جسد ذلك الكائن النائم كالموتى الإجتماع في ذلك اليوم ليناقشوا بضعة أمور أهمها هو تنصيب العضو الأهم لتلك الأعضاء - بمعنى رئيس جمهورية الأعضاء - حتى يتولى تيسير مهام ذلك الجسد بعد فترة طويلة من خلو ذلك المنصب

وهنا وبصفتي راو للأحداث دعوني أسرد لكم ما سيحدث في ذلك الإجتماع المصيري منذ تلك اللحظة

نادى المخ - القائم مؤقتا ولفترة قصيرة بأعمال العضو الأهم - على كرات الدم الحمراء في هدوء وحسم :

-أيتها الكرات لتذهبوا سريعا إلى بقية أعضاء الجسد لتبلغوهم بالإجتماع المقرر له الآن

ذهبت كرات الدم الحمراء في سرعة خيالية ليبلغوا بقية الأعضاء بانعقاد الإجتماع وما إن تنهت بقية الأعضاء لذلك حتى بدأ المخ الحديث قائلا :

-تعرفون أننا نجتمع في تلك اللحظة لتنصيب العضو الأهم الجديد لنا وأنني قد توليت ذلك المنصب مؤقتا بناءا على طلبكم ولفترة مؤقتة وعلى ذلك فإننا نجتمع الآن لتنصيب عضوا جديدا لذلك المنصب الرفيع وقد اتفقنا جميعا أن تكون المدة بأربع سنوات فقط تجدد لمرة واحدة في حالة النجاح له

صمت المخ قليلا ثم أكمل :

-والآن على من يجد في نفسه القدرة والمسئولية ليشغل منصب العضو الأهم أن يتقدم ويخبرنا لماذا يظن نفسه الأجدر بذلك

دوى تصفيق حاد غير مسموع بين الأعضاء تعقيبا على كلام المخ ثم سمع الجميع ضربات متسارعة توحي بأن القلب سيتحدث

بدأ القلب حديثه قائلا :

-إخوتي وأخواتي أعضاء الجسد البشري دعوني أخبركم أنني لم أنتوي الترشح لذلك المنصب قبل أن أدرك أنني فعلا العضو الأهم فدعوني أسألكم من يضخ الدم لكم جميعا ؟ من يستمر في العمل طيلة اليوم وبدون راحة ؟ من يضحي بنفسه في عملية الإنبساط والإنقباض ليؤمن لكم حياة آمنة سعيدة ؟ جاوبوا على تلك الأسئلة وستتأكدون من استحقاقي التام لذلك المنصب والله الموفق والمستعان

دوت همهمات عديدة بين الأعضاء لم يقطعها سوى طلب المعدة للكلام الذي كان ذلك نصه :

-إخوتي وأخواتي الأعضاء أقدر تماما كلام صديقي العزيز وأخي القلب ولكن يا صديقي من يمدك بالغذاء اللازم لعملك ؟ أليس أنا ؟ من تحمل عبء هضم تلك الكميات الغير طبيعية من اللحوم والخبز والأرز اللائي يتناولها ذلك البشري يوميا ؟ أليس أنا أيضا ؟ من يتحمل تأثير كل تلك الكميات من الأدوية من أجلكم جميعا ؟ حكموا ضميركم وستدرون من هو الأهم لشغ...

قاطعتها الكلية اليمنى في حدة :

-ومن يتحمل مسئولية تنقية الجسد من السموم يا عزيزتي ؟ أليس أنا وشقيقتي الكلية اليسرى ؟ ومن يتحمل الألام المبرحة جراء الإلتهابات المزمنة التي يعاني منها ذلك البشري ؟ أليس أنا ؟ ومن يعاني من كثرة الخمور التي يحتسيها ذلك البشري طوال الوقت ؟ تكلمي بإنصاف أيتها المعدة وإلا فلتصمتي

-نقطة نظام هنا

صرخ بها المخ في قوة مكملا :

-أيتها الأعضاء كلنا مهمون من أجل حياة ذلك البشري .. نحن نعرف ذلك جيدا ولكننا هنا لإختيار الأهم بيننا

-كلامك صحيح أيها المخ

نطقت بها الرئة في نفاق واضح ثم أكملت :

-أعتقد أن عملية التنفس من أهم عمليات الجسد البشري وأنتم تعلمون أنني وتوأمي نقوم بتلك العملية منذ اللحظة الأولى لميلاد ذلك البشري وكم هي عملية صعبة وذلك الشهيق الداخل وذلك الزفير الخارج وتكييف الجسد طبقا لكمية الهواء الموجودة وتحمل كل تلك الكميات من النيكوتين والحشيش الذي يتناوله ذلك البشري يوميا ..

يا إلهي كم أتعب ..... لن أتحدث كثيرا فأنا متأكدة من تقديركم للمجهودات الخارقة التي أقوم بها

-نؤيدك تماما أيتها الرئة

قالها القضيب في ثقة مكملا :

-نحن جميعا مهمين لإستمرار حياة ذلك البشري ولكن أليس الأولي أن نختار العضو الأهم بالنسبة له ؟ أنتم جميعا تعلمون أهميتي الشديدة له وأنت بنفسك أيها اللسان نطقتها مرارا وتكرارا في مناسبات عديدة وأنتي أيتها المعدة ألم تهضمي ذلك الطعام الكريه المسمى بالكوارع من أجلي ؟ وأيتها الكلية ألم تتعاملي مع شقيقك الكبد مع ذلك الدواء الأزرق والأحمر الذي يتناوله البشري من أجلي يوميا ؟ وأيها القلب ألم تضخ المزيد من الدماء لي كلما احتجت لها ؟ أليس أنا من يؤمن إستمرار ذلك الجنس البشري في الحياة ..... الأمور واضحة يا عشيرتي العضو الأهم هو الأهم بالنسبة لذلك البشري وأنا الأهم

-لا لا نحن الأهم

قالتها الأصابع في حدة ثم أكمل الإصبع الأوسط الكلام قائلا :

-نحن الأهم يا سادة يا أفاضل فنحن أكثر الأعضاء إستخداما بواسطة ذلك البشري في عمله .. ألسنا نحن من نلعب في مصر ونجعلها حديث العالم كله كما يقول ذلك البشري ؟ ألست أنا قائد تلك الأصابع أجمعين والأكثر إستخداما وإشارة بواسطة ذلك المخلوق ؟ نحن الأهم يا سادة في حياة ذلك الكائن فنحن من نتحكم فيها

-أليس ذلك إذا كان يتحكم في حياته وقراراته ؟

نطقت بها الأذن في استنكار ثم أكملت في حدة :

-تعلمون أن صاحبنا هذا لا يفكر أبدا ولا يتخذ أي قرار في حياته وأنه يعتمد فقط على التعليمات التي يتلقاها من رؤسائه وبناءا عليها يتلون من النقيض للنقيض .. فبالأمس يكون مع اليمين ويهاجم اليسار واليوم يكون مع اليسار ويهاجم اليمين ومن يدري ماذا يفعل غدا .. ومن يا أحبائي يسمع تلك التعليمات وينقلها إليكم ؟ أليس أنا وأختي ؟ إذن فمن الأهم

-ولكن المخ هو من يعطيكم الأوامر والإشارات لتقوموا بعملكم

هتفت بها كرات الدم البيضاء مكملة :

-نحن جميعا نعمل بأوامر المخ وإشاراته وهو من يوفر لنا الحماية من كافة المؤثرات الداخلية والخارجية وهو من تولى مسئولية الفترة الإنتقالية الحرجة بكل حنكة وذكاء وحمانا من خطر الإقتتال الأهلي بين أعضاء الجسد الواحد .. نحن نعتقد أنه الأهم والأجدر بأن يكون العضو الأهم والرأي الأخير لكم بالطبع

-نحن نؤيد ذلك القرار

نطقتها الأسنان والقدمين والخصيتين في نفس واحد وأكمل البنكرياس قائلا :

-يكفي أنه لم يسع للسلطة ونجح بإقتدار في إدارة المرحلة الإنتقالية بدون أي خسائر تذكر

تعالت الهمهمات ب " نعم " و" لقد فعلها حقا " وبدأت أن الأمور ستستتب للمخ في كونه العضو الأهم لولا أن انطلقت تلك الكلمة بين الأعضاء

-أنا أعترض فأنا أرى نفسي أهم عضو فيكم جميعا مجتمعين

صدرت تلك الجملة من آخر عضو تتوقعه

لقد كانت المؤخرة

وبدأ الضحك بين سائر أعضاء الجسد فالمخ قال أن المؤخرة قد جنت وهتف القلب أنها مؤخرة ولن تكون أكثر أو أقل من مجرد مؤخرة أما اللسان فرأى أنها معذورة لما كانت تمر به أثناء فترات إعتقال ذلك الكائن البشري القليلة عندما كان ثوريا بحق والطحال استطعنا أن نميز من وسط ضحكاته الشديدة أن المؤخرة من كثرة إمساكها بواسطة آخرين قد جنت لتقول مثل ذلك الحديث

أما المؤخرة فلم تصدر أي تعليق سوى بكلمة واحدة وهي " سوف ترون "

في اليوم التالي مباشرة نفذت المؤخرة تهديدها وأمسكت عن عملها ورفضت إخراج الفضلات من جسد ذلك البشري فتأثرت المعدة ولم تستطع القيام بعملية الهضم وتراكمت السموم على الكليتين اللاتي أخذن يتأوهن في ألم شديد وأصبحت عملية التنفس في شدة الصعوبة على الرئتين وتعب القلب في محاولة ضخ الدم الملئ بالأكسجين إلى سائر أعضاء الجسد وانتفخت الأوردة التي تغذي المخ مما ترتب عليه إعياؤه الشديد ووجع الرأس المستمر ولم يعد يستطع اللسان النطق ولا الأذن السمع كما تعبت القدمين من كثرة الوقوف لرفض المؤخرة قيامها بعملية الجلوس الأمر الذي ترتب عليه إرسال كرات الدم الحمراء رسالة سريعة من المخ وسائر الأعضاء البشرية إلى المؤخرة ومعهم إعتراف من جميع أعضاء الجسد البشري

بريادتها

وزعامتها

وأنها تستحق أن تكون العضو الأهم لذلك البشري التعس

وليكن الله في عوننا جميعا في زمن تكون فيه المؤخرة هي العضو الأهم !!!

عواء

-الهدوء هو كل ما أنشد في هذه الرحلة الصغيرة

أجبت بتلك الكلمات على خطيبتي اللحوحة داليا .. كانت مذ أن عرفت بنيّتي الذهاب إلى الشاليه الخاص بي في البيطاش في هذا الوقت من العام - وتحديدا في ذروة نوة الكرم الكبرى والذي يعتبر فيها مجرد السير على الكورنيش هناك ضرب من ضروب الشجاعة الكبرى أو الجنون- وهي دائمة السؤال عن السبب وعن تفضيلي للبيطاش على الساحل على الرغم من إمتلاكي شاليه آخر هناك ومجهز بصورة أفضل من نظيره ذاك

أجبتها بأنني أعشق البيطاش على الرغم من هروب كل رواده إلى الساحل بعد الغزو العمراني الهائل الذي أعقب ثورة يناير والفوضى الكبيرة التي أخذت في الاجتياح على هيئة هدم معظم الفيلات الصغيرة والتي كانت تميز البيطاش وتحويلها لعمارات سكنية كبيرة .. إلا أنني مازلت أعشق ذلك الشاليه الصغير والذي يطل مباشرة على شاطئ خاص والذي لم تمتد إليه أيادي الغزو بعد

أعلم بالطبع أنها لم تصدق إجابتي .. هؤلاء النساء لهن عقلا آخر خاص بهن .. إذا قلت لها الحقيقة مباشرة أخذ عقلها يحورها إلى أشياء من قبيل لابد من أنه يريد الذهاب لعشيقته هناك أو هناك صفقة ممنوعة يتحتم عليه الذهاب بنفسه وإنجازها أو ربما يتسلى

بإصطياد بعض فتيات الليل ليقيم حفلة ماجنة بعيدا عن الأنظار .. إنها طريقتهن المعتادة في التفكير منذ خلقهن ولست أنا بأفضل من غيري حتى أستطيع تغيير تلك الطريقة السقيمة.

أخذت أستمع لإلحاحها في الهاتف لمعرفة السبب الحقيقي وراء زيارتي وفي النهاية وضعت الهاتف جيدا على أذني وقلت :

-داليا .. لقد قلت الحقيقة .. أحتاج شيئا من الهدوء والسكينة لن أجده إلا هناك وفي هذا الوقت تحديدا بعيدا عن كل الناس .. فلتصدقي أو لا ولكنها الحقيقة .. ولعلني أحظي بفكرة رواية جديدة هناك

كانت هذه إحدى أمنياتي من هذه الرحلة فمنذ آخر رواية لي منذ أكثر من ثلاثة سنوات وقد توقف عقلي عن إنتاج أية أفكار جديدة .. زملائي الذين كانوا يسيرون معي على نفس الخط أصبح لديهم إسمهم المرموق في عالم الكتابة في الفترة الماضية بينما أنا مازلت أقف على نفس الخط منذ بدأت لم أتحرك .. ربما فقط لم ينسني القراء حتى الآن بسبب جرعة الجنس القوية في رواياتي الماضية لدرجة جعلت أحد النقاد يطلب أن توضع رواياتي على المواقع الجنسية بجوار الأفلام المصورة لأن هذا ما يليق بها .. الأحمق لم يكن يدري أن نقده هذا جعل الشباب يقبلون أكثر على رواياتي .. مما حقق لي شهرة لا بأس بها ووضع اسمي في عالم الشباب الغضّ الساعي لمثل تلك الأشياء مع إني لم أستطع أن أساير الموجة كما فعل غيري وأكتب روايات في مجال الرعب والأرواح والأشباح وخلافه لأسباب عديدة

أنهيت المكالمة مع داليا بعد أن وعدتها أن أهاتفها كل ساعة تقريبا مع ضرورة إجراء مكالمة فيديو ليلا .. وكأنها تريد أن تتأكد من وجودي وحيدا طيلة فترة الرحلة

وضعت الهاتف على الفراش وأخذت أرتب حقيبتي إستعدادا للسفر

***

بمجرد أن هبطت من القطار حتى وقفت وشددت نفسًا عميقًا من هواء الإسكندرية الممتزج برائحة الملح .. بالرغم من إمتلاكي لسيارة إلا أنني أعشق السفر في القطار فقط لتكون تلك النسمة من الهواء في إستقبالي عند وصولي لتلك المدينة الساحرة وكذلك لأنني لا أحب القيادة ليلا على طرق مصر صحراوية كانت أو زراعية .. أخرجت هاتفي الحديث المتصل بشبكة الإنترنت لأطلب خدمة أوبر .. سمعت أن العديد من سائقي التاكسي يعترضون على تلك الخدمة وأنهم في سبيلهم لقطع أرزاقهم ولكنهم عليهم سؤال أنفسهم أولا عن سر اتجاه الناس إلى هذه الخدمة وعزوفهم عن سيارات الأجرة العادية وتركها .. يكفي أنني سأستمتع طيلة الطريق إلى الشاليه بالهدوء من دون أن يحدثني أحدهم عن زوجته المريضة التي تحتاج لدواء يتخطى البضعة آلاف من الجنيهات أو ابنه القعيد الذي يدور به في شتى مستشفيات مصر ولا مجيب له.. أو يحدثني آخر عن مدى الظلم والظلام الذي أصابنا به ذلك النظام أو يتبارى في الدفاع المستميت عنه ويلتمس له الأعذار حتى يصل إلى أن الشعب هو الذي يستحق الظلم لأنه من يقوم به وليس العكس

أسوء ما في ثورتنا المنقوصة أنها جعلت من أفراد الشعب محللين ومفكرين وخبراء سياسيين .. يتحدثون بمنطق العالمين ببواطن الأمور والعارفين لأسراره .. أصبح الجميع يتكلمون في كل شيء وكأنهم ممسكون بخيوط المؤامرة .. ولابد لك في تلك الفترة من أن تتخذ اتجاها تنتمي إليه حتى لا تبدو شاذا وسطهم

أتت السيارة المخصصة لي بعد حصة من الوقت ليس بالقليل بسبب سوء الأحوال الجوية وكان يقودها شاب لطيف الملامح يدعى حسام كما ظهر في بياناته على التطبيق الخاص بالخدمة .. ركبت واغمضت عيني وأنا أحلم بالهدوء المنتظر تاركا حسام يقود سيارته تحت الأمطار المنهمرة بشدة

***

عندما وصلت أمام الشاليه لم أجد مصطفى في مكانه المعهود .. مصطفى .. إنه أحد علامات المنطقة .. أتى من بلدته منذ بضعة سنوات بعد وفاة عم إبراهيم حارس العقارات السابق ليحل محله .. كان عم إبراهيم قد توفى في إحدى حوادث السرقة التي أعقبت الثورة أثناء محاولته الدفاع عن الشاليه الخاص بنا .. كم حزنت كثيرا على ذلك الرجل الطيب ..لم يجد سكان المنطقة غير استقدام ذلك الفتى قريب عم إبراهيم والذي كان يزوره بين الحين والآخر ليحل محله وقد أثبت الفتى كفاءته ليس في عمله فقط بل في كل شئ تتخيله

أصبح مصطفى ملكا للمنطقة كما يقولون في ظرف سنوات قليلة .. تريد قطعة جيدة من الحشيش .. لا يوجد مشكلة فقط أطلبها من مصطفى وسوف يحضرها لك .. تريد فتاة لتمضي معها وقت لطيف أو لتبيت معك بضعة أيام لا يوجد أيضا مشكلة فمصطفى سيوفر لك كل ما تطلبه

ذلك الفتى الصعيدي إسما فقط استطاع أن يوفق أموره مع ملوك عالم المتعة في المنطقة ومع أمناء شرطتها أيضا قبل أن يفرض سيطرته ويصبح هو صاحب الكلمة العليا .. ساعده في ذلك أقربائه الذين أحضرهم ليعملوا معه كحراس عقارات في الظاهر ويساعدوه في أعماله الأخرى من الباطن

أخذت أنادي عليه ولكنه لم يرد .. ربما كان نائما أو في إحدى أعماله .. اتجهت لباب الشاليه وأنا أضع المفتاح لأفتحه ليصدر صريرا مزعجا ينم على أن أحدا لم يحضر هنا منذ فترة طويلة .. وضعت حقيبتي على الأرض وأغلقت الباب جيدا بعدما أضئت النور حتى تتبين معالم الشاليه أمامي .. ليس كبير هو فقط ردهة كبيرة وغرفة نوم ومطبخ صغير

فتحت الحقيبة وأخرجت منها بعض علب الطعام التي أحضرتها معي وكذلك علب السجائر خاصتي التي لا تفارقني مطلقًا وأخرجت حاسبي النقال ووضعته أمامي قبل أن أتجه لتحضير كوب كبير من القهوة حتى أكمل يومي .. نعم فأنا كائن ليلي ابدأ يومي ليلا والناس نيام وأنهيه عندما تبدأ الشمس في إغراق سماء الكون بأشعتها معلنة انبلاج يوم جديد

قمت بتغيير ملابسي في الوقت الذي أعلنت فيه الماكينة السريعة تحضير جرعتي من الكافيين لآخذه وأذهب للجلوس أمام حاسبي وابدأ التفكير في الرواية الجديدة

رواية جنسية كعادة رواياتي الثلاث الماضية .. لا ليست فكرة جيدة .. لقد حققت ما أصبو إليه من شهرة جراء ما كتبته من قبل كما أنني قد صرحت قبل ذلك في الندوة المخصصة لمناقشة روايتي الأخيرة أمام الفتى المغرور الذي إتهمني أنني كاتب ضيق الأفق لا أملك الكثير من الأفكار ولا أستطيع أن أكتب إلا ذلك النوع من الروايات بأنني سأكتب رواية مغايرة تماما في المرة القادمة

رواية إجتماعية .. لا .. سأكون مجبرا أن أتحدث عن السياسة وتأثيرها وبالطبع سيطغي رأيي الشخصي على الأحداث وحينها

سيتخوف معظم أصحاب دور النشر من نشرها حتى لا يقعوا في صدام مع النظام الحاكم كما أنني سأوصم بالمشاغب طيلة حياتي

رواية نفسية .. نعم .. أعتقد بأنها ستكون جيدة لنتحدث عى فتى مجنون أو لنجعلها فتاة قامت بجريمة لا تعلم عنها شيئا .. نعم أعتقد أنها الإختيار الصحيح

أعتدل في جلستي وأبدأ في تصميم شكل الرواية قبل أن ينطلق نباح قوي أشبه بعواء ذئب من الخارج

فزعتُ لثوانٍ قليلة قبل أن أتذكر أن مصطفى وأقاربه قد قاموا بتربية بضعة كلاب حتى يحموا الشاليهات من اللصوص والذين كانوا سببا في وفاة عم إبراهيم رحمه الله ولكن يبدو أن عدد الكلاب قد تزايد عن العام الماضي نتيجة لتزاوج الكلاب مما جعلها المهيمنة على المنطقة في فترة الليل

فجأة صمت النباح تماما وانطلق صوت آخر لكنه ليس بنباح كما اعتقد ... إنه عواء ذئب بالفعل .. عواء قوي يبث الخوف في أكثر القلوب شجاعة وينذر بأشياء سيئة في طريقها للحدوث

أتجه سريعا إلى باب الشاليه لأرى مصدر ذلك العواء وما إن فتحت الباب حتى وجدته يقف أمام مدخل الشاليه الخاص بي تحديدا .. كلب أسود عملاق يمتلك عينين ناريتين ونظرة تزلزل أعتى القلوب .. وقف قليلا يبادلني النظرات قبل أن يطلق عوائه مرة أخرى .. تمالكت نفسي قليلا وأخذت أنظر حولي لأجد كلاب مصطفى وأقاربه تنزوي بين الجدران وكأنها تبحث عن الأمان وهي تئن في خوف عميق .. فجأة تقدم الكلب العملاق بضع خطوات مني فانحنيت سريعا لألتقط حجرا من الأرض وأقذفه في اتجاهه ليبدأ في الجري سريعا قبل أن يلمسه الحجر

دخلت إلى الشاليه سريعا وأنا أغلق الباب جيدا وأحاول ضبط أنفاسي اللاهثة لأتمالك نفسي من الرعب الذي ولدّه ذلك الكلب في قلبي .. رعب .. لما لا تكون روايتي الجديدة عن الرعب

جلست لألتقط أنفاسي وأنا أفكر .. لماذا لا أكتب رواية رعب .. كل زملائي في الوسط تكالبوا وقاموا بالكتابة في أدب الرعب .. كثيرا ما هاجمتهم متهما إياهم إنهم محدودي الفكر ويستسهلون الكتابة عن الأساطير المرعبة القديمة سواء كانت مصرية أو عالمية وطالبتهم بمحاولة الكتابة في فرع آخر ليثبتوا براعتهم ولكنهم إتهموني بمحاربة نجاحهم وأنني لا أستطيع مجاراتهم والفعل مثلهم وقد كانوا محقين في ذلك فأدب الرعب ينتشر بسرعة فائقة .. كنت قد كتبت قبل ذلك أن الطبيعة المازوخية المصرية ومتعة المصريين في الإحساس بشعور الألم جسديا أو نفسيا قد ساهم في إنتشار ذلك النوع من الأدب ولكن هذا لا يهم الآن .. لأكتب رواية رعب من طراز خاص لم ولن يكتب رواية مثلها

أعتدل في جلستي أمام حاسبي وأبدأ في كتابة تصميم روايتي الجديدة

عواء

***

استيقظت في اليوم التالي بعد منتصف النهار بقليل .. أمسكت بهاتفي لأجد داليا قد هاتفتني لما يزيد عن العشر مرات .. قمت بالإتصال بها لأجد هاتفي بلا أي شبكة إتصال فوضعت الهاتف جانبا واتجهت إلى حاسبي لأرى ماذا فعلت البارحة في الرواية

كنت قد وضعت تصميما جيدا لمجموعة من الأشخاص يربطهم عواء ببعضهم البعض ولكن أولا يجب أن أبحث عن إذا كان هناك أي

تأثير لسماع عواء على الناس في القدم وهل كانوا يتطيرون منه .. يتفاءلون به أم يهابونه وهكذا .. سأجمع معلومات قوية لن تجعل أي أحد يستطيع توجيه كلمة نقد واحدة لي أو لروايتي

أضع الحاسب على المنضدة واتجه إلى النافذة لأنادي على مصطفى .. أجده واقفا في الأسفل يدخن سيجارة وهو يسند ظهره على جدار إحدى البنايات فأنادي عليه ولكنه لا يجيب .. شددت صوتي في النداء ولكنه حتى لم يلتفت إلي

رجعت في غضب إلى حجرتي وارتديت ملابسي في عجل لأذهب إليه وأرى لماذا لم يرد على ندائي .. خرجت مسرعا من الشاليه واتجهت لمكان مصطفى فلم أجده .. أخذت أجول بنظري يمينا ويسارا بحثا عنه ولكنني لم أجده لا هو ولا أي شخص في الجوار وكأنني وحيد في المنطقة

-لا يوجد أحد هنا يا بني

إلتفت مسرعا إلى مصدر الصوت لأجد كهلا ينظر إلي وهو مبتسما في ود قبل أن يكمل حديثه قائلا :

-لقد رحلوا منذ قليل .. أعتقد أن أحدهم في مشكلة ولذلك فقد أسرعوا لنجدته

إقتربت منه وأنا أقول :

-لقد ناديته منذ خمسة دقائق من حجرتي ولكنه لم يرد

إبتسم وهو يقول :

-ربما كان يتحدث في الهاتف ولم يسمعك ولهذا لم يرد عليك

أومأت برأسي في فهم وأنا أقول :

-نعم .. ربما .. على أية حال سأذهب الآن لأبتاع سجائر فقد إنتهت سجائري وأنا موشك على الجنون من غيرها

أوقفني الرجل وهو يقول :

-نحن في أشد أيام نوة الكرم ولن تجد أي مكان مفتوح لتشتري منه ما تريد وقد تضطر للذهاب إلى الشارع الرئيسي لتبحث عن أي مكان قريب وربما ستجده مغلقا

صمت قليلا ثم أردف :

-ولكنني أستطيع توفيرها لك وبنفس السعر تقريبا فأنا أمتلك كشكا لبيع السجائر هنا في المنطقة بدون أن تتعب نفسك يا سيدي

نظرت له في شك قبل أن أجد أن السماء عادت تمطر في شدة فناولته النقود وأنا أقول :

-حسنا لتحضر لي علبة دافيدوف لايت

وجدته يأخذ النقود ويختفي داخل إحدى البنايات قبل أن يعود محضرا لي علبة السجائر قائلا :

-إذا إحتجت أي شئ لتنادِ علي فأنا أقف هنا دوما .. إسمي هو إسماعيل

نطقها في بطء فنظرت له دون فهم قبل أن أقول :

-حسنا يا عم إسماعيل .. إذا إحتجت شئ فسأخبرك

إلتقطت منه علبة السجائر عائدا إلى الشاليه .. دخلت وأغلقت الباب جيدا وأمسكت هاتفي محادثا داليا ولكنني وجدت هاتفها مغلقا .. تبا .. لماذا إذا كانت تشترط أن أحادثها كل ساعة

إتجهت إلى المطبخ وأعددت كوبا جديدا من القهوة مع إفطار خفيف قبل أن أتجه لأكمل كتابة الرواية

***

في نفس توقيت الليلة الماضية إنطلق ذات العواء مرة أخرى .. قمت مسرعا واتجهت للباب لأجد نفس الكلب الأسود العملاق يقف أمامي مثلما وقف بالأمس ولكن أقرب من الباب وما إن رآني حتى توقف عن العواء وأخذ ينظر إلي في ثبات شديد .. إنحنيت لألتلقط حجرا كالأمس لأقذفه عليه ولكنه لم يمنحني الفرصة لذلك فما إن إنحنيت حتى لاذ بالفرار وهو يطلق ذلك العواء المخيف مرة أخرى

استدرت عائدا للداخل وأنا أفكر في أمر ذلك الكلب .. بالأمس أعطاني فكرة روايتي ولكنني نسيت تماما أن أسأل من يملكه ..فهذا النوع من الكلاب لا ينتشر في الشوارع بصورة عادية كما أنني إنشغلت في خلق شخصيات الرواية ونسيت أن أبحث عن مرأى الكلب الأسود الذي يعوي في الثقافات القديمة

عدت مرة أخرى لحاسبي لأبدأ في جمع المعلومات المطلوبة لأجد أن الحاسب غير متصل بشبكة الإنترنت .. إلتقطت المودم الخاص بي ونزعته من مكانه وأعدت توصيله لأحصل على نفس النتيجة .. لا يوجد إنترنت أو شبكة

ألقيت الحاسب جانبا وأمسكت هاتفي لأجد نفس النتيجة .. يبدو أن الأحوال الجوية أثرت على قوة شبكة الإتصالات وجعلتني في عزلة حتى الصباح

***

إستيقظت في اليوم الثاني كالمعتاد في منتصف النهار وأمسكت مسرعا بهاتفي لأجده بلا شبكة كالأمس .. قمت متكاسلا من فراشي وذهبت لأجهز جرعة الكافيين المعتادة الممتزجة بالنيكوتين الصباحي اللازم لجسدي .. جلست في الشرفة وأنا أراقب الشارع الخالي تماما من المارة .. كنت أعتقد أن الزحف العمراني سيجعل تلك المنطقة كمثيلتها في الهانوفيل ولكن يبدو أنها مازالت تحتفظ ببعض من رونقها

أجد ذلك الكهل الذي إلتقتيه بالأمس وهو يلقي التحية علي .. رددت عليه التحية وأنا أطلب منه الإنتظار ريثما أذهب إليه

ذهبت إليه سريعا وأنا ألقي عليه التحية فردها وهو يبتسم قائلا :

-لقد أحضرت لك علبة أخرى من السجائر .. أعلم أنك مدخن شره ولن تكفيك علبة في اليوم

أخذتها منه وأنا أبادله الإبتسام قائلا :

-شكرا لك يا عم إسماعيل .. إنها الحقيقة فقد نفذت سجائري بالفعل منذ قليل وكنت في طريقي للنزول بحثا عنك لتحضر لي علبة أخرى

مددت يدي له بالنقود ولكنه رفض أن يأخذها في البداية قبل أن ألح عليه ليوافق في نهاية الأمر .. أشعلت سيجارة وناولته أخرى وأنا أقول :

-أريد أن أسألك سؤالا يا عم إسماعيل

أخذها مني وهو يقول :

-إسأل ما تريد يا سيدي

أخذت نفسا عميقا من السيجارة وكتمته للحظات قليلة قبل أن أطلق سراحه وأنا أسأله :

--هل هناك هنا من الجيران من يمتلك كلبا ألماني أسود اللون ضخم الجثة قليلا ؟

نظر إلى قليلا ثم سألني في عدم فهم :

-ألماني ؟

جاوبته وأنا أبتسم إبتسامة جانبية خفيفة :

-نعم .. فأنا أفهم قليلا في أنواع الكلاب منذ الصغر .. بل أنني كنت أمتلك أحدهم وأنا صغير .. دعنا من هذا الحديث فأنا أسأل الآن عن هذا الكلب تحديدا

سألني في حذر :

-ولماذا ؟

جاوبته في سرعة :

-لأنه يأتي يوميا في الليل أمام الشاليه الخاص بي ويبدأ في العواء بطريقة تدمي القلوب ولا أعرف سببها كما أن بقية الكلاب تهابه رهبة الموت وتهرب من أمامه فغلبني الفضول إلى أن أعرف أصل هذا الكلب

نظر قليلا إلي بعيون فارغة وشرد للبعيد قبل أن يقول :

-في الحقيقة يا بني لا أعرف .. ولكنني سأسأل عنه من أجل خاطرك

نظرت إليه قليلا ثم ألقيت عقب السيجارة المشتعل على الأرض ودهسته بحذائي وأنا أقول :

-حسنا .. إذا علمت عنه شيئا فلتخبرني .. سأذهب الآن لأباشر أعمالي

ألقيت عليه التحية ولم أنتظره ليردها واتجهت عائدا إلى الشاليه وأنا أنظر في هاتفي الذي مازال بدون شبكة إتصال

***

في نفس التوقيت المعتاد كنت أجلس خلف الباب منتظرا العواء ذاته لذلك الكلب الأسود الغريب .. وكما توقعت فهو لم يتأخر عن موعده وبدأ في العواء في نفس التوقيت ولكنه كان عواءا مختلفا .. لم استطع في البداية أن أحدد كنهه لم يكن مفزعا كما سبق .. ولكنه كان ..... حزينا

فتحت الباب في سرعة لأجده يقف أمامي تماما في ثبات رهيب .. تراجعت خطوتين إلى الوراء وأنا أحدق في عيون هذا الكلب .. ليس مخيفا عن قرب كما كنت أتوقع بل على العكس .. أرى الآن عينيه الناريتين بوضوح .. لم يكن البريق الذي كنت أراه فيهما من قبل تحفزا بل إنه يبدو الآن وكأن دموعا محتبسة فيهما

أدقق النظر في الكلب قبل أن أتذكر وقبل أن أهتف أسمع صوتا آتيا من خلفه قائلا :

-نعم يا بني .. إنه هو

تجاوزت الكلب لأنظر ورائه لأجد عم إسماعيل يتقدم مني ويكمل :

-نعم يا بني .. إنه كلبك الذي صدمته سيارة مسرعة منذ عدة سنوات .. وأنا .. ألم تتذكرني بعد ؟

إقتربت منه وأنا أنظر إليه متفرسا ملامحه قبل أن أهتف :

-عم إبراهيم .. ولكن كيف ؟

***

ركبت واغمضت عيني وأنا أحلم بالهدوء المنتظر تاركا حسام يقود سيارته تحت الأمطار المنهمرة بشدّة

***

كان عم إبراهيم قد توفى في إحدى حوادث السرقة التي أعقبت الثورة أثناء محاولته الدفاع عن الشاليه الخاص بنا .. كم حزنت كثيرا على ذلك الرجل الطيب

***

أمسكت بهاتفي لأجد داليا قد هاتفتني لما يزيد عن العشر مرات .. قمت بالإتصال بها لأجد هاتفي بلا أي شبكة إتصال

***

أتجه إلى النافذة لأنادي على مصطفى .. أجده واقفا في الأسفل يدخن سيجارة وهو يسند ظهره على جدار إحدى البنايات فأنادي عليه ولكنه لا يجيب .. شددت صوتي في النداء ولكنه حتى لم يلتفت إلي

***

نطقها في بطء فنظرت له دون فهم قبل أن أقول :

-حسنا يا عم إسماعيل .. إذا إحتجت شئ فسأخبرك

***

تهاويت جالسا على الأرض وأنا أنظر إلى عم إبراهيم/إسماعيل وأقول :

-ولكنني لا أفهم

وضعت يدي على رأسي وبدأت في البكاء قبل أن يتقدم مني عم إبراهيم/إسماعيل ويربت علي قائلا :

-لم أكن أستطيع إخبارك .. يجب أن تفهم بمفردك .. ولهذا لم أخبرك بإسمي بل أخبرتك بإسم قريب منه لعلك تتذكر .. إنها القواعد يا بني يجب أن تعلم بمفردك

نظرت إليه وقد بدأت أفهم فأومأ برأسه وكأنه يوافقني على ما دار في ذهني ثم أكمل حديثه قائلا :

-لقد كانت الأمطار شديدة في ذلك اليوم وكان الطريق الدولي الذي سلكه السائق كالمعتاد مظلما بلا أي إنارة فوقعت الحادثة وأودت بحياتكما في الحال ولكنك كنت نائما ولذلك لم تشعر بشئ فقط تخيلت أنك وصلت وبدأت تتعامل بنمط حياتك المعتاد حتى جاءك كلبك في الليل وبدء في العواء

سألته :

-ولماذا أنتما تحديدا ؟

إبتسم وهو يجيب :

-لا يستطيع أحدا أن يراك أو تراه إلا من توفى في تلك المنطقة ولا يوجد هنا إلا كلبك الذي صدمته سيارة وأنا الذي قتلني أحد المجرمين أثناء حراستي للشاليهات هنا .. لهذا تم إرسالنا إليك

صمت قليلا وأنا أرتب الأحداث في ذهني .. لهذا هاتفي دائما خارج نطاق الخدمة .. لهذا هاتفتني داليا في اليوم الأول ولم تعدها مرة أخرى .. أتكون هذه النهاية حقا ؟ وقبل أن أكمل روايتي الأولى في عالم الرعب

يبدأ كلبي في العواء مرة أخرى ولكن على هيئة نداء لي لأفيق من ذكرياتي وأنا أنظر إلى عم إبراهيم واسأله :

-وماذا الآن ؟

مد يده إلي وهو يقول :

-سنرحل معا

مددت يدي إليه لأمسكها ونبدأ في السير ببطء يتبعنا كلبي وهو يطلق ذلك العواء مرة أخرى

تأكدوا من وفاتي

انطلق صوت المنبه الضخم الجاثم بجانبي ليعلن عن ميعاد إستيقاظ مبكر على غير ما اعتدت عليه في السنوات العشر الأخيرة .. أمد يدي في كسل لأغلقه أو أكسره في الحقيقة كما أتمنى ولكنني لا أجده مكانه .. أخذت ابحث عنه وانا مغلق العينين وأنا أسبّ وألعن بداخلي عن السبب الذي اضطرني لذلك الاستيقاظ المبكر .. ظللت أبحث حتى تذكرت أنني وضعته على المنضدة التي تتوسط غرفتي حتى أجبر نفسي على الإستيقاظ مبكرا وقبل موعدي مع الأستاذ عبد الشكور المحامِ الخاص بي .. كنت قد هاتفته في الأمس وأخبرته بضرورة المرور عليّ حتى يأخذ وصيتي ويضعها التي لم أكتبها بعد !!!

نعم فقد قررت اليوم أن أكتب وصيتي التي ظللت أؤجلها لسنوات عدّة حتى قررت أن اكتبها قبل أن تداهمني أمراض شتى فلا تجعلني لا أقوى على كتابتها أو كتابة أي شيء آخر .. وسوف أذهب لأسلمها لعبد الشكور ليحفظها عنده في مكتبه حتى يسلمها لأبنائي بمجرد وفاتي .. إعتدلت في الفراش وبدأت في فرد جسدي قليلا قبل أن أتجه إلى الحمام حتى أهذب لحيتي .. لقد قمت بتركها تنمو على غير هدى في السنوات الخمس الأخيرة من عمري بعد أن أصبحت عملية إزالتها يوميا عملية مزعجة كثيرا بالنسبة لي وتحوي الكثير من الملل

وقفت أمام المرآة وأنا أتأمل وجهي .. لقد ترك الزمن العديد من آثاره في ذلك الوجه الذي كان وسيما في يوم من الأيام جاعلا إياه يليق

بأحد مجاذيب حي السيدة زينب لا بأحد أكبر رجال المال وأقواهم في البلاد

أفقت سريعا من شرودي على جرح في ذقني سببته لنفسي بآلة الحلاقة الحادة كغرّ ساذج لم يسبق له أن يمسك بموس حلاقة من قبل... لقد فعلت الخمس سنوات الكثير فيّ ... رميت الآلة حانقًا وتوجهت إلى حجرة مكتبي .. مررت في البداية على سمر الخادمة الخاصة بي وطلبت منها إعداد فنجان من القهوة مستخدمة البن الخاص بي الذي أحضرته معي خلال زيارتي الأخيرة لتركيا .... كان صفقة جيدة تستحق أن أسافر إليها إلى القطب الجنوبي ذاته إن لزم الأمر وليس تركيا فحسب مع كرهي الشديد للسفر بالطائرة لكنني ربحت منها جيدًا ... أخرجتني سمر من شرودي الثاني على سؤالها بأين تحضر القهوة فطلبت منها إحضاره لغرفة مكتبي ونبهتها بعدم إزعاجي حتى يأتي الأستاذ عبد الشكور .. صرت كثير الشرود في تلك الأيام !!

أغلقت الباب خلفي بمجرد دخولي حجرة المكتب واتجهت لأجلس على مقعدي .. أخرجت رزمة من الأوراق من الدرج الأول وأمسكت بقلمي ووضعته بجانب الأوراق وانتظرت قليلا حتى تأتي سمر بمشروبي السحري حتى أضمن العزلة التامة وعدم قطع حبل أفكاري أثناء كتابة وصيتي

أحضرت سمر القهوة سريعا وهي تمشي بغناء وتتمايل كالغانية على أنغام الشجن عاهدته منها لكنّي لم أكن اليوم في مزاج يسمح لي بالالتفات إليها فرمقتها بنظرة ساخطة جعلتها تتسمر مكانها قبل أن تخرج مسرعة وهي تغلق الباب خلفها تنفيذا لأوامري .. أمسكت الكوب وأخذت رشفة من قهوتي ذات الرائحة المحببة إليّ قبل أن أضعه جانبا وأعتدل في جلستي لأبدأ الكتابة

أبنائي الأعزاء

وأنتم تقرأون تلك الكلمات ربما أكون قد فارقت الحياة .. لا داعي للتعجب أيها التافهون .. أجل هي ربما وليست بالتأكيد .. أقول ربما وستعرفون السبب لاحقا وأنتم تكملون القراءة

هذه وصيتي لكم .. أعلم أنكم مندهشون قليلا من تركي لوصية .. ليس بقليل في الواقع إنما أدرك أنكم مندهشون إلى حد فغر أفواهكم وجحظ عيونكم الفارغة .. أغلق فمك أيها الأحمق أنت وهو .. أدرك أنني قد وزعت عليكم مالي حسب الدين والشرع منذ قرابة العام تاركا لنفسي ما يكفيني لمعيشة كريمة حتى تحين نهايتي .. كنت أعتقد في ذلك الوقت أنني أفعل الصواب ولكن وبعد مرور قرابة العام على عدم رؤيتي لكم بعد جلسة توزيع الأموال تأكدت من أنني أخطأت بتوزيع مالي عليكم وأنا على قيد الحياة .. أدركت أن كل ما يهمكم هو المال فقط وليس أبيكم الذي شارف على السبعين من عمره ولم يعد له في الحياة سوى سنوات معدودة وربما أقل .. ربما أسأت تربيتكم أو ربما أنتم تردون لي ما فعلته مع أبي من قبل .. بئس الأب أنا وبئس الابن كذلك .. وأنتم تكررون نفس الخطأ الذي فعلته من قبل وسوف يرده لكم أبنائكم يومًا ما فبئس الآباء أنتم أيضا

حسنا .. ليس هذا هو الوقت المناسب للتوبيخ .. لندخل في صلب الموضوع مباشرة

عند إعلامكم بخبر وفاتي سيأتي إليكم الأستاذ عبد الشكور المحامِ الخاص بي أو أحد أفراد مكتبه بهذه الوصية وسيقرأها عليكم والتي أطلب منكم تنفيذ كل ما يرد فيها دون سؤال أو امتعاض .. تحتوي الوصية على عدد من الطلبات ذكرتها كما يلي :

الطلب الأول :

لتتأكدوا من وفاتي أولا قبل أن تقوموا بدفني .. لا تهرعوا إلى مكتب الصحة لإستخراج تصريح الدفن ثم تبحثوا عن شخص ليقوم بعملية

الغسل والتكفين ثم تحضرون سيارة تكريم إنسان لتواروا جثماني الثرى سريعا وتنتهوا من مراسم العزاء حتى تعودوا إلى بيوتكم وحياتكم الرتيبة المعتادة .. لتتمهلوا قليلا أيها الأوغاد

أنا كما تعلمون مريض بداء السكري ومن الوارد أن أتعرض إلى غيبوبة سكر في حال عدم سيطرتي على معدله المنتظم في الدم قد تدوم لوقت ليس بالقصير .. لذا فلتتمهلوا قليلا فأنا لا أريد أن أفيق من غيبوبتي لأجد نفسي وقد تم دفني حيا مثل صلاح قابيل في بداية التسعينات .. لا أريد أن أجد ذاتي بين جدران قبر لا يتجاوز المترين .. سأموت حينها من الفزع بداخل القبر .. وأقسم إنني لن أترككم حينها تنعمون بالراحة .. لتقوموا بكل تلك الإجراءات ولكن على مهل حتى تتأكدوا من وفاتي تماما

الطلب الثاني :

مبدئيا وبوضوح إياكم أن تدفنوني مع أمكم أو حتى بالقرب منها يكفيني أكثر من ثلاثين عاما وأنا مع تلك الحرباء المتلوّنة المسماة كذبا بإمرأة ويعلم الله أنني لم أستمتع بحياتي إلا بوفاتها منذ قرابة العامين .. كذلك لا تدفنوني مع أحد من أبناء عمومتي .. لم أكن أطيق البقاء معهم أو حتى القرب منهم وأنا حي فمن المؤكد أنني لن أفعل ذلك وأنا ميت وأنا لا أعلم المدة التي سأقضيها في ذلك القبر حتى بعثي .. وعموما فقد إبتعت مدفنا جديدا منذ شهر ولكنني لا أعرف هل سيكون جاهزا لإستقبالي عندما يحين أمر الله أم لا

الطلب الثالث :

عندما تضعون جسدي في القبر قد يكون إحتمال ضئيل جدا أنني مازلت على قيد الحياة لذا فأريدكم أن تضعوا بجانبي زجاجة مياه وبعض الطعام وأهم شئ هو وضع هاتف جوال حديث وتأكدوا من أن

تكون بطاريته مشحونة بنسبة مائة في المائة حتى إذا حدث شئ وكانت وفاتي كاذبة أستطيع طلب النجدة بسهولة

أخيرا:

لقد جهزت لكم نعيا كاملا لي يجب أن ينشر في كل الجرائد الحكومية والخاصة وإياكم أن تتوجهوا بشكر لأي مسئول في الدولة على أي شئ .. أولئك الأوغاد قد حصلوا على أموال من ورائي تعادل ميراثكم الذي بين أيديكم كجباية فرضت عليّ حتى لا يتم الغدر بي أو محاربتي في أعمالي من قبلهم أو من قبل آخرين يتكالبون على تقبيل أيديهم ويسعون للخلاص مني حتى تحلو الحياة لهم بدوني

في النهاية أذكركم .. عندما يبلغونكم بخبر وفاتي لتتريثوا قليلا ولا تتعجلوا في إدخالي القبر قبل أن تتأكدوا جيدا من وفاتي

أنهيت كتابة الوصية لأشعر براحة شديدة تغمرني واسترخاء لم أشعر به مذ فترة طويلة .. سأضعها في ظرف الآن وأغلقه جيدا وأسلمه للأستاذ عبد الشكور وأؤكد عليه تسليمه لإبني الأكبر بمجرد أن يسمع بخبر وفاتي

الآن سأستريح حقا في الأيام القليلة الباقية لي

***

إنتهيت من قراءة الوصية الخاصة بأبي رحمه الله أمام إخوتي والتي كتبها بالأمس فقط كما أخبرني المحامي الخاص به .. لم أعرف ماذا أفعل في ذلك الموقف .. سمحت لبعض الضحكات أن تخرج من بين دموعي الصادقة على أبي

أبي الحبيب الذي كان يخشى الدفن حيا كتب تلك الوصية بالأمس وسلمها لمحاميه قبل أن يسافر مضطرا إلى إنجلترا للقيام بالفحوصات

السنوية المعتادة .. ولكنه لم يصل قط .. فالطائرة التي إستقلها إنفجرت فور إقلاعها وسقطت في البحر المتوسط مودية بحياة كل من عليها تاركة إياهم بين أسماك البحر بلا أي جثث أو حتى أشلاء لتدفن

على الطريق

إنطلق صوت صفارات تنبيه السيارات من جانبي بطريقة مستفزة تحطم الأعصاب لمعرفة سبب وقوف الطريق .. في العادة لا يقف الطريق الصحراوي إلا بوجود كارثة .. حادثة على الطريق مثلا أو إنقلاب إحدى سيارات النقل أو تسرب بقعة نفطية كبيرة من إحدى حاويات نقل النفط العملاقة كما حدث الأسبوع الماضي وحديثًا يقومون بغلق الطريق في حالة وجود شبورة ضبابية لا يرى من على الطريق حينها على امتداد بصره .. ولكن أن يقف الطريق ولا يُغلق قبل حوالي مائة متر من بوابات الأسكندرية فقد كان هذا محير قليلا

أجلس في هذا الطريق أكثر مما أجلس في منزلي .. أسافر بشكل شبه يومي على هذا الطريق حتى أذهب لعملي في مستشفى النوبارية المركزي وأعود في نفس اليوم .. قبل إستلامي لعملي كنت أكره السفر على الطريق الصحراوي أو السفر من مدينتي الحبيبة الأسكندرية بشكل عام ولكن منذ أن ذهبت لأقضي فترة نيابتي هناك كطبيب مقيم نسا وتوليد وقد أصبح هذا الطريق رفيقا لدربي

أصبحت أحفظ معالمه .. أعلم أين توجد المطبات المبناة والمطبات الصناعية لأتفاداها .. أصبحت أعلم أين توضع الرادارات على الطريق طوال أيام الأسبوع وأين توضع يوم الخميس بعد تغيير أماكنها .. أصبحت على علاقة بكل ذرة تراب في هذا الطريق

نظرت أمامي لأجد الطريق متوقفا تماما لأبطل السيارة وأفتح الشباك وأسترخي قليلا حتى يعود الطريق لسيره مرة أخرى .. في الصباح عند ذهابي للمستشفى يكون الطريق تقريبا خاليا من السيارات .. أنطلق في سرعة وأصل مقر عملي في وقت قصير .. ولكن عند العودة وفي وقت الذروة يكون الطريق أشبه بساحة مجانية مفتوحة للجماهير حتى يشاهدوا إحدى نجمات الرقص الجدد وهي تؤدي فقرتها في القفز وإبراز مفاتنها لا الرقص

أخرجني رنين هاتفي من أفكاري لألتفت إليه لأجد زميلي شريف في المركز الطبي الخاص والذي أعمل به ليلا يهاتفني .. ابتسم في سخرية عندما أدرك أن اليوم هو الخميس لأتوقع ما سيطلبه مني كعادته أسبوعيا .. لم أطل عليه وأحطم أعصابه ورددت سريعا لأجده يهتف في لهفة :

-صديقي العزيز وأستاذي ورائد طب النسا والتوليد في مصر

أوقفته عن نفاقه قائلا :

-لتتوقف عن ما تفعله كل مرة .. بالطبع تريدني أن أغطي مكانك في المركز اليوم

إبتسم وهو يقول :

-لا ينقصك الذكاء يا دكتور .. نعم فاليوم الخميس وأرتبط بموعد مع أصدقائي سنذ..

قاطعته في سرعة :

-شريف .. لا يهمني أن أعرف إلى أين ستذهب .. سأقوم بالعمل بدلا منك وسأخبر دكتور كمال حتى يخصم اليوم منك كالمعتاد

رد علي في سعادة ممتزجة برياء :

-تسلم لي يا صديقي .. أدامك الله للمساكين أمثالي

رددت على نفاقه ثم أغلقت المكالمة معه سريعا .. ذلك الوغد المتزوج حديثا مازال عند عهده مع العربدة .. يحرص على اختيار يوم الخميس كيوم عمل كامل أمام زوجته ثم يقوم بالتهرب منه حتى يلتفت لنزواته الماجنة مع النساء الساقطات والخمر .. لا أعرف إن كان يدخن الحشيش كذلك ولكنني أتذكر فزعه عندما سرت إشاعة عن نية الوزارة إجراء تحليل مخدرات لكل أفراد الطاقم الطبي التابع لها في كل المستشفيات وكيف أخذ في الذهاب لمدير المستشفى ونائبه وهو يحاول أن يحصل منهما على موافقة على إجراء التحليل بالخارج بحجة خوفه من إجرائه في معامل وزارة الصحة !!!

أطرد ذلك ال شريف من رأسي وأنظر للطريق لأجده مازال واقفا كما هو .. لم يتغير شئ غير توقف أصوات أبواق السيارات .. يبدو أنهم علموا أن الطريق لن يفتح إلا برغبة المسئول عنه أو عند إنتهاء المشكلة إن وجدت .. مشكلتنا الكبرى كمصريين هي فشلنا في فن التعامل مع الأزمة .. عند حدوث أي مشكلة تجدنا نثور ونطلق أفظع أنواع السباب وبعد فترة من عدم حلها تجدنا نصمت تماما ونتكيف معها ونبتهل إلى الله أن يقوم بحلها بنفسه

أخذت أتجول بنظري يمينا ويسارا حتى أهدر وقت الإنتظار حتى لفتت نظري تلك الطفلة .. طفلة صغيرة ضئيلة الجسد تشدّ شعرها في ضفيرتين منتظمتين تدلان على اهتمام والدتها بها لا تتجاوز الأعوام العشر ترتدي مريلة المدرسة الخاصة بالمدارس الحكومية مهندمة الشكل على الرغم من بساطتها الواضحة وتحمل على ظهرها حقيبتها والتي أحنت ظهرها من فرط ثقلها .

أجدها تمر في سلاسة بين السيارات وكأنها فراشة تقوم بالتنقل بين الأزهار في الحديقة قبل أن تستقر عند امرأة عجوز كانت جالسة على الجانب الآخر من الطريق لتبيع المناديل الورقية .. أعتقد أن تلك المرأة قد تكون جدتها فهي من العمر الذي يستحيل أن تكون والدتها .. تشد إنتباهي تلك الطفلة فأستمر في مراقبتها لأجدها تنزع تلك الحقيبة من على ظهرها وتلقيها أرضا قبل أن تنحني لتطبع قبلة على وجنة المرأة وتجلس بجانبها

أخذتها المرأة في أحضانها بشوق شديد قبل أن تمد يدها في حقيبتها لتخرج منها شطيرة وتناولها لتلك الصغيرة التي أخذتها منها سريعا وبدأت في تناولها بإستمتاع شديد

بمجرد أن فرغت الصغيرة من غذائها وجدتها تقف وتأخذ عددا من أكياس المناديل الورقية من أمام المرأة وبدأت في العدو بين السيارات لتعرض ما لديها على سائقيها

ابتسمت لما فعلته تلك الصغيرة وأخذت أراقبها وأنا أفكر

طفلة صغيرة لا تتجاوز السنوات العشر تتحمل مسئولية لا يتحملها رجالا قاربوا على الثلاثين من أعمارهم

طفلة صغيرة تنهي مدرستها لتعود وتبدأ في مساعدة جدتها بالعمل حتى تنهيه مبكرا لتعود لمنزلها وتبدأ في إستذكار دروسها حتى موعد نومها لتستيقظ وتعيد الكرة من جديد

طفلة صغيرة تبدأ حياتها العملية في الشارع في الوقت الذي يبكي من هم في مثل عمرها لأنهم لم يحصلوا على لعبة أرادوها أو فستان تمنوه

طفلة صغيرة تظهر بفطرتها عجز مجتمعي كامل نحيا فيه وننغمس فيه حتى آذاننا

تناولت حافظتي وأخرجت منها بعض العملات الورقية وجعلتها بجانبي حتى تأتي تلك الطفلة لأعطيهم لها .. أخذت الطفلة تتنقل بين السيارات ما بين قبول ورفض لين ورفض عنيف لما تعرضه من بضاعة حتى أنهت ما كانت تحمله في يديها الصغيرتين .. إتجهت عائدة إلى جدتها لتأخذ أكياس أخرى لتقوم ببيعها وهنا أشرت لها

إنطلقت نحوي مبتسمة إبتسامة ملائكية شديدة الرقة .. أخذت منها كيسا وأعطيتها النقود .. نظرت إليهم وإلى أكثر من مرة ثم قالت :

-هذا كثير جدا .. إنه يتجاوز ثمن كل ما في يدي

إبتسمت وأنا أقول لها :

-لماذا لا تأخذين الباقي كهدية صغيرة مني ؟

رفعت رأسها في إباء وهي تقول :

-لقد علمتني جدتي أن لا آخذ شيئا بدون مقابل أو بدون وجه حق .. سآخذ ثمن كيس المناديل فقط

أخذت عملة ورقية واحدة وأعطتني باقي النقود قبل أن تنطلق بين السيارات مرة أخرى لتكمل عملها

نظرت إليها قليلا وأنا أتعجب من فعلتها التي لا يقدم على فعلها من هم أفضل منها حالا وتذكرت الآية القرآنية الكريمة (تحسبهم أغنياء من التعفف) .. نعم تنطبق تلك الآية الكريمة على هؤلاء .. لا الذين يتاجرون بمرضهم أو ظروفهم

أفيق من شرودي على صوت بوق وفرملة سيارة على الطريق المقابل بشدّة حتى أن صريرها على الأسفلت كان يصمّ الآذان .. نظرت في قلق إلى الطريق لأجد الطفلة ساقطة على الأرض و جدتها تصرخ وهي تركض في اتجاهها .. اختلج قلبي بين ضلوعه وأنا أبتهل إلى الله أن لا يكون حدث مكروه إلى الطفلة البريئة

حاصرني صوت أبواق السيارات قادمة من خلفي معلنة إنتهاء فترة الإنتظار وبدء سير السيارات مرة أخرى .. أنزلت فرامل اليد وانطلقت بالسيارة وأنا انظر في المرأة الأمامية خلفي حتى رأيت طيف طفلة صغيرة تمشي مستندة على ذراع جدتها

حرقة دم

-أقدم لكم زميلتكم الجديدة نادية عبد الغفور والتي ستتدرب معنا هنا في الفترة القادمة وبالمناسبة نادية هي إبنة الأستاذ الكبير هشام عبد الغفور وقد رفضت أن تتمرن في مكتب أبيها وأصرت أن تشق طريقها بمفردها .. أرجو أن تتعاونوا معها وتمدوا لها يد العون في أي أمر تريده

نطق الأستاذ جلال شمس الدين المحامي الشهير والذي أعمل في مكتبه تلك الكلمات وهو يقدم لنا تلك الفتاة الجديدة والتي خطفت نظري منذ اللحظات الاولى لدخولها إلى المكتب .. لا أعرف بالضبط سبب إنجذابي إليها ربما وجهها الهادئ أو إبتسامتها الطفولية أو صوتها المنخفض عندما ألقت علينا التحية .. لا أعرف السبب الحقيقي ولكنني أفقت من شرودي عندما هب عصمت من مكتبه متجها إليها قائلا :

-أهلا بكِ معنا يا نادية إسمحي لي بأن أعرفك علينا ولابدأ بنفسي إسمي عصمت أبو المجد المسئول عن القضايا الجنائية في المكتب وفي طريقي لإفتتاح مكتب المحاماة الخاص بي قريبا وهذا هو صديقي الصدوق خالد زكريا وهو المسئول عن القضايا الخاصة بالأموال أما هذا الصامت هناك فهو رامز الدروي أو كما أدعوه مثقف المكتب

ومندوب ميدان التحرير فيه وهو مسئول عن القضايا السياسية في المقام الأول هنا

تجاهلت سماجة عصمت المعتادة وألقيت عليها السلام بإبتسامة ثم حاولت أن أدفن رأسي في القضية الملقاة أمامي ولكن ذلك لم يمنعني من سماع كل حديث عصمت الذي إنتحى بنادية جانبا وأخذ يتكلم معها في شتى الأمور وكيف أنه يعتبر نفسه هنا في فترة عمل مؤقتة حتى ينتقل إلى مكتبه الخاص وتطرق حديثه أيضا عن والدها وكيف من المؤكد أن أبيه بحكم عمله الدبلوماسي يعرف والدها جيدا ومن المؤكد أنهما صديقين

مر الوقت سريعا كالمعتاد وحان وقت الإنصراف .. حملت أوراقي في حقيبتي وتأهبت للرحيل ونزلنا جميعا معا في المصعد وقبل أن ألقي عليهم السلام فاجأني عصمت بسؤاله :

-هل تحب أن أوصلك معي يا رامز في طريقي فأنا أعلم أنك لا تملك سيارة وأنا سأقل نادية إلى منزلها وأنت في نفس طريقنا

نظرت إليه في دهشة وأنا أجيبه :

-أشكرك يا عصمت على كرمك الغير معتاد ولكني أحب أن أتمشى قليلا قبل العودة للمنزل وبالمناسبة وللمرة الأخيرة أنت تعلم أنني أملك سيارة ولكنني تركتها لأخي الصغير لأنني وببساطة لا أحب قيادة السيارات في الشوارع المصرية

قلتها وأدرت ظهري لهما وبدأت في السير .. سماجة عصمت معي معتادة ولكنها كانت زائدة اليوم عن الأيام السابقة .. كم من مرة حاول إستفزازي بعلمانيتي ورفضي تدخل الدين في السياسة لدرجة أنه في أحد المرات أطلق علي إشاعة أنني قد تنصرت على الرغم من أنه قبلها أطلق علي شائعة إنضمامي لجماعة الإخوان المسلمين عقب ثورة يناير

.. توقفت عن التفكير ولم أعر ذلك الأمر إهتماما زائدًا لربما كان صنف اليوم معه جيدا وأراد فقط أن يمزح

في الأيام التالية كانت نادية هي محور المكتب .. الأستاذ جلال كلفها بقضية بسيطة تحت إشراف عصمت الذي أخذ على عاتقه أن يكون مسئولا عنها في العمل فكان يتطوع لمساعدتها في القضية ويسدي لها النصائح بالإضافة إلى توصيله لها يوميا إلى منزلها .. على الجانب الآخر كنت أنا صامتا تماما كعادتي .. أنهي عملي في صمت وكفاءة وأرحل في موعدي .. لم تأت فرصة الحديث مع نادية لأن عصمت لم يكن يتركها نهائيا أثناء تواجدها في المكتب أو بعد رحيلنا منه

في أحد الأيام وصلت إلى المكتب مبكرا وكنت أول الحاضرين كالمعتاد .. لم يكن لدي محكمة اليوم وكنت قد أنهيت جميع القضايا الموكلة إلي من الأستاذ جلال فجلست على مكتبي وأخرجت من حقيبتي كتاب أحمله فيها حتى أكمل قراءته .. أعشق القراءة جدا وأندم على كل لحظة تمر من عمري وأنا لا اقرأ فيها وأتعجب لمن لم يجرب تلك المتعة الفريدة .. المهم إستغرقت في القراءة قبل أن يخرجني صوت أنثوي لطيف وناعم من تركيزي

-يبدو أن عصمت لم يكذب عندما أطلق عليك لقب مثقف المكتب

كانت تلك نادية تقف على الباب وهي مبتسمة كعادتها ألقيت عليها التحية ثم قلت لها :

-لا أعرف إن كان عصمت يمتدحني أم يسخر مني .. عل أية حال لا أعتبر أن تلك الكلمة توصم صاحبها بأي شئ

هزت رأسها في سرعة وهي تقول :

-بالطبع لا إنها ميزة رائعة خصوصا أنني مثلك أعشق القراءة

إبتسمت وأنا أقول :

-حقا

إقتربت نادية وهي تجلس بجواري وتقول :

-نعم إنها متعة رائعة لا أعرف كيف يحيا من لم يجربها ...

أجبتها موافقًا على حديثها:

-أجل .. إن القراءة نعمة من نعم الله .. فبدونها كان من الممكن أن أجنّ ولا احتمل ذلك العالم ..

ابتسمت نادية من حديثي ووافقتني على أن القراءة هي من تجعلنا نقاوم الاحباط والاكتئاب وشتى الأشياء المرهقة في تلك الحياة

ثم نظرت إليّ مترددة قائلة:

-هل أستطيع أن أطلب منك شيئا ؟

أجبتها في سرعة :

-أي شيء بالطبع .. تفضلي

نظرت إلي في خجل وهي تقول :

-هل بإمكانك أن تحضر لي غدا كتابا من إختيارك

فوجئت من طلبها البسيط وصمت قليلا قبل أن اسألها مستفسرًا:

-وكيف لي أن أعرف ماذا تريدين قراءته ؟

وقفت مستعدة للإنصراف وهي تقول :

-أحضر لي كتابا رومانسيا فأنا أعشق تلك القصص

أومأت برأسي وأنا أقول :

-حسنا .. سأحضره لكِ الأسبوع المقبل

في المعتاد لا أحب إقراض الكتب لأحد .. أؤمن جيدا بمقولة " أحمق من يعير كتابا وأشد حماقة من يرده " ولكنني لم أعرف لماذا أبديت الموافقة على طلب نادية في الحال .. وقع إختياري لها على رواية " فيرونيكا تقرر أن تموت " للمبدع باولو كويليو ووضعتها في حقيبتي ولكنها لم تأت لتمنحني الفرصة لإعطائها الرواية ..

لم تأت نادية في اليوم التالي أو في اليوم الذي يليه ووجدتني مضطرا أن أذهب إلى عصمت لاسأله عنها بإعتباره أقرب من في المكتب إليها ولكن عصمت رد علي بسماجته المعتادة بأنه ليس ولي أمر الآنسة نادية حتى يعلم بتحركاتها ومواعيد قدومها وذهابها .. وأنهما ليس إلا زملاء عمل فقط

إبتلعت رد عصمت بهدوء وعدت إلى مكتبي لأباشر عملي .. لكن ظللت أفكر فيها واتساءل لما لم تأتي إلى المكتب في الأيام الماضية .. ووجدتني في نهاية اليوم أذهب إلى الأستاذ جلال واسأله عن نادية بحجة أنها تركت معي إحدى كتبها وأريد أن أعيده إليها فأخبرني الأستاذ جلال بأنها قد سافرت إلي الكويت حتى تقوم بتجديد إقامتها هناك .. أثارت معلومة رحيلها إلى الكويت مشاعر ساقمة بداخلي ..

لا أعرف تحديدا لماذا غضبت .. هل غضبت منها لأنها طلبت مني شيئا ولم تأت لإستلامه ؟ أم غضبت منها لأنها لم تخبرني بموضوع سفرها ؟ لأتحدث هنا بصراحة قليلا .. لا أملك الكثير من التجارب النسائية .. لم أعرف في حياتي غير صديقتي العزيزة ميرال والتي صارحتها بحبي لها ولكنها رفضته بطريقة متحضرة بأنها لا تشعر أنها تريد أن ترتبط الآن وبالمناسبة نحن ما زلنا أصدقاء حتى هذه اللحظة .. أما نادية فأنا لا أعرف كيف أصف شعوري تجاهها بالضبط فلا

أستطيع أن أنكر إعجابي الشديد بها كما أنها تأتي كثيرا على ذهني في تلك الأيام .. خصوصًا في الأيام التي تلت حديثنا عن القراءة .. عندما أمسك كتابًا جديدًا لاقرأه اتذكرها وهي تقول أن من لم يجرب القراءة فهو ميت يمشي على قدمين .. لا أعرف إن كان هذا ما يعرف بالحب أم لا ولكن ما لا أستطيع إنكاره أنني منجذب جدا لنادية وأنها ترافقني بين صفحات الكتب وكأنها تلتهم سطورها بجانبي ..

عادت نادية من سفرها بعد شهر كي ترحل من جديد !!!

لم تكد نادية تدخل المكتب حتى وقفنا جميعا لنسلم عليها لتخبرنا بأن اليوم هو آخر يوم لها بالمكتب وأنها ستنتقل للعمل في مكتب أبيها .. إبتلعت صدمة الخبر بإبتسامة رسمتها على وجهي وتمنيت لها الخير والتوفيق في العمل مع أبيها .. ثم إستأذنت منها لأن لدي قضية هامة بالمحكمة اليوم لا يجب أن اتأخر عنها وسلمت عليها ورحلت

أحسست إنني كنت كالغرّ الساذج الذي غُدر به على غفلة .. لم أكن أدرك أنها سترحل ثم تأتي لترحل مرة أخرى .. لم أكن أعرف كيف أتصرف معها .. هل أخبرها بإعجابي بها خصوصا أنني أشعر بوجود إعجاب متبادل أم أنتظر قليلا .. في النهاية إستقر رأيي على التريث قليلا قبل إخبارها حتى أتاكد من صحة مشاعري ولكنها لم تنتظر

بعد رحيلها بثلاثة أيام وبعد تبادلنا العديد من الرسائل على الواتس آب في الأيام الماضية فوجئت برسالة من نادية بأنها تريد أن تحادثني في أمر هام فقمت بالإتصال بها وأنا أرتب لسبب مقنع يجعلني أقابلها حتى أخبرها ولكنها وبعد السلام فاجأتني بذلك السؤال :

-هل تعرف عصمت جيدا ؟

صدمني سؤالها ذلك ولكنني تمالكت رباطة جأشي مجيبا :

-ولماذا هذا السؤال ؟

صمتت برهة بدت لي كالدهر قبل أن يصلني صوتها وهي تقول متلعثمة :

-بصراحة لقد تقدم لطلب يدي وأنا لا أعرفه جيدا وكنت أريد أن أعرف رأيك في هذا .. أقصد أريد أن أسألك عنه

أخرسني حديثها لبعض الوقت .. عصمت مرة أخرى يعاود ممارسة سماجته عليّ .. لكن تلك المرة أصابني في الصميم .. لكنني عدت أفكر ثانيا وما هو الجديد في ذلك الخبر؟ لقد كان متوقعا بالنسبة لي من تصرفاته معها في الأيام التي عملت بها معنا في المكتب .. وأخذت أفكر مرة أخرى هل أنسحب بهدوء أم أخبرها بحقيقة مشاعري وأنا على شبه يقين أنها تبادلني نفس الشعور .. أنا دائم التردد في تلك الأشياء .. لكن في النهاية إتخذت قراري وقلت لها :

-في الحقيقة لا أعرف ماذا أقول لكِ يا نادية ولكنني كنت أريد أن أخبرك بأنني أشعر بإنجذاب كبير ناحيتك وكنت أريد أنا أيضا أن أتقدم لخطبتك

شعرت بها تبتسم إبتسامة لم أستطع تصنيفها وإن كنت قد شعرت بمدى رضائها في تلك اللحظة وهي تقول :

-كنت أشعر بهذا وعندما كان خالد يحدثني في ذلك الأمر كنت أشعر بأنه سينطق إسمك ولكنني فوجئت به ينطق إسم عصمت بدلا منك ..

سألتها :

-والآن ما رأيك ؟

أجابتني :

-لا أستطيع أن أقول لك رأيي الآن

صمت قليلا قبل أن أسألها :

-ولماذا ؟

صمتت قليلا وهي تقول :

-أنا لا أعرف عصمت جيدا وكذلك لا أعرفك أنت أيضًا جيدًا أعتقد أنني بحاجة إلى بعض الوقت كما أنه تقدم لي رسميا بعكسك

لم أعرف ماذا أقول ردًا على كلماتها التي أشعرتني بالنفور وشعرت بالندم الشديد لإخباري لها بشعوري تجاهها .. ولكنني إفترضت حسن النية وأنها تتدلل قليلا فحديثها مسبقا بأنها كانت تريد أن تسمع إسمي من خالد بدلا من عصمت يغفر لها قليلا .. وبعد فترة صمت قليلة قلت لها :

-لتأخذي وقتك كما تريدين ولكن أخبريني في النهاية

أجابتني :

-كنت متأكدة من تفهمك لموقفي يا رامز ولكن هل تسمح لي بسؤالك سؤالين

دهشت قليلا من طلبها إلا أنني أجبتها :

-إثنين مرة واحدة .. تفضلي

ضحكت من ردي ثم قالت:

-إعذرني مقدما ولكن ما حقيقة أنك لا تصلي وأنك لا تقوم بأي من العبادات لأنك علماني الإنت....

قاطعتها في سرعة :

-ومن أخبرك بهذا ؟

إرتبكت قليلا ثم أجابت :

-عصمت ونحن نتحدث قبل سفري أخبرني بأنك علماني وأنك لا تريد للدين أن يحكم

صمت قليلا ثم أجبتها في هدوء :

-كنت متأكدا من جهل عصمت السياسي على أية حال إسمعي يا نادية على الرغم من إعتراضي على السؤال إلا أنني سأجاوبك .. العلمانية اتجاه سياسي يريد أن لا يتدخل الدين في السياسة لأن الدين ثابت طاهر قيم بينما السياسة لعبة قذرة متغيرة بمعنى آخر العلمانية تؤمن بأن الدين لله والوطن للجميع .. أما بشأن القيام بعبادتي تجاه خالقي فلتطمئني فأنا أقوم بها على أكمل وجه وأجزم أنني أفعلها أفضل منكِ ومنه ومن أي أحد لا يعرف الفرق بين العلمانية والدين ..

صمتت قليلا وكأنها أفحمت من ردي ثم قالت :

-آسفة يا رامز ولكنني لا أفهم كثيرا في السياسة ولذلك سألتك

قلت لها وأنا حريص أن أبدي عدم إكتراثي بالموضوع :

-ليست بمشكلة ما هو سؤالك الآخر ؟

صمتت قليلا وكأنها تفكر في التراجع قبل أن تقول :

-ما هي خططك للمستقبل ؟ هل تملك شقة ؟ هل تخطط لإفتتاح مكتب المحاماة الخاص بك قريبا ؟

ذهلت من ذلك السؤال وشعرت بأنها تقوم بوضعي في موقع مقارنة مع عصمت .. وكأنها تضع كلانا في كفتيّ ميزان لترى من منا كفته

ستُرجح .. في المعتاد لا أحب أن أتحدث عن نفسي كثيرا وأنكر دائما إنتمائي إلى عائلة الدروي الشهيرة مع أن عميدها هو جدي المباشر حسن الدروي ولكنني لا أحب أن أقول أن أقربائي كذا وكذا ولكنني أفضل أن أقول أنا كذا وكذا .. ربما لذلك لم أخبر نادية بالحقيقة وأنني أمتلك شقتين سأجعل إحداهما مكتبا للمحاماة بعد أن أشعر بأنني إكتفيت من خبرة الأستاذ جلال ولذلك قلت لها :

-الشقة ليست مشكلة فقانون الإيجار الجديد حلها تقريبا أما المكتب فأنا أؤجل تلك الفكرة مؤقتا حتى أجد المكان الملائم لإمكانياتي الحالية .. فأنا ما زلت في مقتبل حياتي كما تعرفين

قالت بلهجة من يريد إنهاء المحادثة :

-هذا جيد جدا وأعذرني مرة أخرى يا رامز على هذين السؤالين ولكنني لا أريد أن أخفي عنك أي شيء يجول بخاطري .. آسفة الآن فأنا مضطرة إلى أن أغلق معك فأبي ينادي علي

قلت لها في سرعة :

-حسنا مع السلامة

لا أعرف لماذا أحسست براحة بعد تلك الكذبة على نادية لربما أريد التأكد هل تريدني لشخصي أم لعائلتي .. إنها تفرق معي كثيرا

لم أتحدث أنا ونادية لقرابة الشهر في تلك الفترة حدث لي أكبر نقلة في مستقبلي المهني

في أحد الأيام أتت إلى المكتب صحفية تدعى فدوى مصطفى تريد رفع قضية على أحد المنتمين لحركة الإخوان المسلمين لأنه إعتدى عليها بالضرب وصفعها على وجهها أثناء إعتصامهم السلمي أمام نقابة الصحفيين تنديدا بأخونة الصحف القومية وكلفني الأستاذ جلال

بأخذ كافة التفاصيل الأساسية من فدوى تلك على أن يقوم بإبداء رأيه في القضية لاحقا وهو ما فعلته حيث أخذت فدوى إلى مكتبي وقمت بأخذ كل التفاصيل منها وفوجئنا بأنها تحضر نفس الصالون الثقافي الذي أحضره وفجأة وبدون أي مقدمات سألتني فدوى :

-هل تعتقد أن الأستاذ جلال سيوافق على قضيتي ؟

سألتها :

-ولما لا ؟

رفعت كتفيها وهي تقول :

-لا أعرف ولكنني خائفة أن يرفضها لأن جماعة الإخوان هم من يحكمون البلاد الآن

صمت قليلا ثم هززت رأسي قائلا :

-لا أعتقد ذلك لقد ترافعت بنفسي في العديد من القضايا التي كانت ضد النظام السابق ولم يعترض عليها الأستاذ جلال وكانت بعضها قضايا تعذيب في أمن الدولة

إبتسمت وهي تقول :

-حسنا حسنا لنأمل أن يوافق

بادلتها الإبتسام قائلا :

-تفائلي دائما بالخير واسمعي كلمتي إن قضيتك منذ هذه اللحظة قضيتي ولن أتركها أبدا حتى آتي لكي بحقكِ من ذلك الحيوان الذي صفعك حتى لو كلفني ذلك الأمر حياتي

لا أعرف لماذا قلت الكلمة الأخيرة .. وكيف خرجت مني بدون تفكير فيها قبل نطقها كعادتي ولكن فدوى تقبلتها بابتسامة بديعة رسمتها على وجهها وقالت :

-أشكرك على تلك الكلمات الراقية ومع أنني لا أعرفك ولم ألتق بك قبل اليوم إلا أنني أصدقك تماما في ما تقول

وقفت فدوى واستعدت للرحيل قبل أن أعطيها رقم هاتفي وآخذ رقمها وأعدها بأن أخبرها بقرار الأستاذ جلال فور إتخاذه

في نهاية ذلك اليوم جلست مع الأستاذ جلال في مكتبه ليصدمني بالقول :

-لقد رفضت قضية الصحفية فدوى مصطفى يا رامز

سألته في دهشة :

-ولماذا يا أستاذ ؟

نظر إلي في غضب مكتوم وهو يقول :

-ومنذ متى تناقشني في رفضي أو قبولي للقضايا ؟

صمت وأنا أعيد تقدير الأمور ثم قلت :

-آسف يا أستاذ لم أقصد ذلك ولكننا قبلنا تلك النوعية من القضايا من قبل أثناء حكم النظام السابق فماذا تغير ؟

تراجع في مقعده وهو يقول :

-لا أريد أي صدامات مع النظام الحالي يكفيني وضعي بالقائمة السوداء أيام الثورة لدفاعي عن بعض قيادات الداخلية كما أننا لن نستطيع إدانة أحد أفراد تلك الجماعة ولقد تعبت كثيرا حتى استعدت مكانتي القديمة

إقتربت من مكتبه وأنا أسأله :

-هل تخاف منهم يا أستاذ ؟ إننا محامون ويجب أن نأتي بحق تلك الفتاة مِن مَن أهانوها

وقف في غضب وهو يقول :

-أنسيت نفسك يا رامز كيف تجروء على قول ذلك الكلام لي .. لقد إنتهى الأمر القضية مرفوضة

قلت له في هدوء :

-ولكنني وعدتها بأن آتي لها بحقها من ذلك الشخص

أشار لي بيده للخارج وهو يقول :

-إذن لتفعله في مكتب آخر إن أردت

سكت وأنا أتطلع إلى الأستاذ جلال ثم قلت له :

-ليكن يا سيدي إعتبرني مستقيلا فأنا وعدتها ولا أستطيع أن أتراجع عن كلمتي أمامها وأمام نفسي

خرجت من مكتب الأستاذ جلال وذهبت إلى مكتبي وبدأت في جمع حاجياتي قبل أن يحاول خالد إثنائي عن موقفي بالإعتذار للأستاذ جلال ولكنني رفضت ذلك ووقفت لأسلم على جميع من في المكتب ولكنني لم أجد عصمت الذي كان قد غادر المكتب عند دخولي إليه

في المساء إتصلت بفدوى وأخبرتها بما حدث .. رفضت في البداية كل ما فعلته وأخبرتني أنها لن تسمح لي بإيذاء نفسي بسببها وأنها ستبحث عن محام آخر ولكنني في هدوء أخبرتها بأن قضيتها هي قضية عمري ولن أتركها ويجب أن أربحها حتى أفي بوعدي لها وأرد على الأستاذ جلال

عمليا وأخبرتها بمعنى آخر أن مصيرنا قد إرتبط مؤقتا ببعضنا الآخر وفي النهاية إقتنعت برأيي

في الأيام التالية قمت بإفتتاح مكتبي الخاص للمحاماة .. وازدادت مقابلاتي مع فدوى ونمت بيننا علاقة عاطفية رقيقة جعلتني تأكدت أن ما شعرت به مع نادية لم يكن حبا على الإطلاق فشعوري ناحية فدوى مختلف تماما .. فأنا أكون في منتهى السعادة وأنا بجانبها .. وأكون في غاية الضيق وأنا بعيد عنها .. أشتاق إليها بمجرد أن تتركني .. أصبحت أنتهز أي فرصة لأتحدث معها .. نتكلم في القضية دقيقة وفي أمور أخرى ساعة .. دهشت عندما عرفت أنها كانت من مؤيدي الإخوان ومع ذلك لم أقف طويلا أمام ذلك الأمر وعقدت العزم على إخبارها بحبي في لحظة النطق بالحكم في القضية

قبل النطق بالحكم في القضية بيوم واحد رنّ هاتفي لأجد أن نادية هي من تتصل بي .. تعجبت خصوصًا إني لم أسمع منها أو عنها أي شيء منذ مدّة ليست بالقصيرة .. وما إن رددت عليها حتى قالت :

-أعلم أنك غاضب مني يا رامز لأنني لم أحادثك في الفترة الماضية ولكني لدي أسبابي

قادعتها قائلا :

-لا أبدا جيد أنك إتصلت الآن فأنا أريد أن أخبرك بشئ ما الموضوع هو أ...

قاطعتني وهي تقول :

-آسفة يا رامز لمقاطعتك ولكن دعني أقول ما أريد أن أقوله فهو صعب علي وأنا لم أكن أريد أن أجرحك ولكن الحقيقة هي أنني لا أشعر بناحيتك بأي شعور يزيد عن شعور الصداقة والزمالة العادية .. آسفة جدا ولكنني أتمنى أن تجد من ...

قاطعتها مرة أخرى وأنا أنهي الحوار قائلا :

-آسف أنا هذه المرة لأنني أقاطعك يا نادية ولكن هل أستطيع أن أنهي الإتصال الآن لأنني مشغول بعض الشئ ولنتحدث لاحقا في هذا الموضوع

أجابتني براحة بدت في صوتها :

-بالطبع يا رامز .. مع السلامة

أنهيت ذلك الإتصال وبدأت في مراجعة مرافعتي للمرة الأخيرة قبل أن يأتي لذهني خاطر بأنه من الممكن أن تعتقد نادية بأنني أنهيت الإتصال لأنني لم أقدر على سماعها تقول بأنها لا تحبني ولكنني لم أعر ذلك الأمر أدنى إهتمام فلدي الآن ما هو أهم

في المحكمة وأمام هيئة القضاة بدأت مرافعتي وأخذت أتكلم عن كرامة المرأة المصرية على مر العصور وكيف أنها لم تهن إلا في ذلك العصر وأخذت أستجير بهيئة القضاة أن يحموا نساء مصر وأن يكون حكمهم رادعا لأي شخص مهما كان هو ذلك الشخص إن فكر فقط في أن يمد يده على إمرأة مصرية

في لحظة النطق بالحكم كانت عيناي مركزتين على فدوى وبمجرد صدور الحكم بسجن ذلك الشخص سنة مع الشغل والنفاذ حتى فوجئت بها تجري ناحيتي وتحتضنني أمام الجميع وهو ما بادلته إياها وأخذتها في أحضاني وشعرت في تلك اللحظة أننا كيان واحد وهنا إقتربت من أذنها وقلت لها :

-أحبك ..... تتجوزيني ؟

نظرت إلي فدوى وعيناها مليئة بالدموع وأخذت تهز رأسها بالموافقة وهي تبتسم

في مساء ذلك اليوم رفضت الدعوات التي وجهت إلى من جميع القنوات التليفزيونية لإستضافتي للحديث عن القضية التي أصبحت قضية رأي عام ولكنني إعتذرت عن تلك الدعوات جميعا لأن اليوم هو يوم العيد بالنسبة لنا أنا وفدوى .. فقد اتفقت معها أن أذهب إليهم اليوم في منزلها لأطلبها رسميا من أبيها وها أنا أرتدي بدلتي وأهندم نفسي أمام المرآة وأنا أسمع الأغاني المنبعثة من جهاز الكمبيوتر قبل أن يرن هاتفي لأذهب لأرى من يتصل لأجد آخر من أتوقعه في تلك الحياة

كانت نادية التي ما إن سمعت صوتي حتى قالت :

-رامز حبيبي ألف ألف مبروك على ربحك للقضية اليوم .. قبل أن تقول أي شئ إسمعني جيدا يا رامز لقد كنت مخطئة معك في مكالمتي الأخيرة فأنا أحبك وبشدة ولكن والدتي أجبرتني على تلك المكالمة وعلى إخبارك بما أخبرتك إياه لأنها فقط تريد مصلحتي وتريد عريسا جاهزا لإبنتها ولكن اليوم فقط أقنعتها بوجهة نظري وأنك بصدى ربحك لقضية اليوم ستصبح نجما في عالم المحاماة وأعذرني يا حبيبي على الألم الذي سببته لك في المكالمة الأخيرة ... رامز هل أنت معي ؟

إبتسمت في قرارة نفسي وأنا أجيبها :

-نعم يا نادية والحمد لله أنكِ قد إتصلتي الآن لأوضح لكِ بضعة أشياء

قالت في لهفة :

-نعم يا حبيبي تكلم

أخذت نفسا عميقا ثم قلت :

-أنظري يا نادية لا أنكر أنني كنت معجبا بكِ جدا ومنجذبا إليكِ وكنت أعتقد لقلة خبرتي أنني أحبك ولكنني في الفترة الماضية عرفت المعنى الحقيقي للحب وكيف يكون عندما التقيت بفتاة أخرى تُدعى فدوى .. تلك هي حب عمري الحقيق .. أريدك فقط أن تسامحيني على كذبي عليكِ في موضوع إمكانياتي المادية فأنا لا أعرف حتى هذه اللحظة لماذا لم أخبرك بالحقيقة فأنا يا نادية أنتمي إلى عائلة الدروي الشهيرة في عالم السياسة والأعمال ولا أعرف أيضًا إن كنتِ تعلمين ولكنني قمت بإفتتاح مكتبي الخاص بالمحاماة في منطقة وسط البلد وأنت تعرفين ماذا يعني مكتب محاماة في وسط البلد كما أن شقتي الخاصة أيضا تقع في وسط البلد .. سامحيني على ذلك ولكنني لا أحب أن أكون خيارا ثانيا لأحد وأنتِ منذ البداية وضعتيني في مقارنة مع عصمت الذي ما زال في طريقه لإفتتاح مكتبه الخاص وبالمناسبة عندما طلبت منك إنهاء المكالمة لم يكن ذلك بسبب حزني على رفضك لي ولكن لأنني كنت أجهز المرافعة لقضية حبيبة قلبي .. آسف جدا يا نادية ولكنني بالفعل أحب فدوى وفي طريقي الآن لخطبتها رسميا من والدها

قاطعتني وهي تبكي :

-إنتظر فقط قليلا يا رامز واسمعني فأنا أحبك

أتوجه إلى جهاز الكمبيوتر وأفتح ملف تامر حسني وأقول لنادية :

-الموضوع إنتهى يا نادية ولتسمحي لي فأنا منشغل بعض الشئ هنا

قلتها وتركت الهاتف من دون أن أنهي المكالمة ووضعته بجوار جهاز الكمبيوتر وقمت برفع صوت الجهاز لينبعث صوت تامر حسني من السماعات وهو يقول :

أرجعلك

يعني حرقة دم

أسمعلك

كل كلامك هم

عايزاني

يااااا

تاني

لاااا

في غيييرك

أنا عنده أهم

معرض 2018

أي تشابه بين أحداث الرواية وما يحدث أو سيحدث في البلاد هو من قبيل المصادفة البحتة وتقع مسئوليته على القارئ الذي يربط أي قصة خيالية بما يحدث في البلاد تطبيقا لمبدأ نظرية المؤامرة

و.....

حفظ الله بلدنا

إنتهيت من فرش الكتب بطريقة تخطف الأنظار في الجناح الخاص بي بالعرض المكشوف في أرض المعارض الجديدة في ذلك المكان البعيد نسبيا عن مكانه القديم وجلست في إنتظار إفتتاح المعرض للجمهور

أمسكت كوب الشاي في توتر دفين وأنا أفكر مليا في مصير المعرض لهذا العام .. كان وزير الثقافة قد أصدر قراره في الإحتفالية الخاصة بنهاية معرض الكتاب للعام الفائت بنقله في دورته الجديدة إلى تلك الأرض الجديدة والتي أنشأتها القوات المسلحة لهذا الغرض

صدم كل من يعمل في الوسط الأدبي لهذا القرار العجيب .. سماه البعض متسرعا وسماه البعض الآخر قرارًا أرعنا .. ولكن المؤكد أن هذا القرار لم يكن وليد الصدفة وإنما كان محل دراسة وترتيب منذ سنوات عديدة

قمنا نحن أصحاب دور النشر بتشكيل وفد منا لمقابلة الوزير لمناقشته في هذا القرار وحاولته مراجعته عنه .. وهو ما تم ولكن بدون فائدة

أخذنا نشرح له أهمية مكاننا القديم بأرض المعارض في وسط المدينة ومدى ملائمتها لإحتضان المعرض كعادتها في السنوات الكثيرة الماضية لسهولة الوصول إليها وتمركزها الجيد وسط العاصمة .. ولكنه لم يقتنع

أخذنا نشرح له أن مكان إقامة المعرض في مكانه القديم يعد موقعا حيويا لوقوعه في منتصف وليس في أطرافها .. ولكنه لم يقتنع

أخذنا نشرح له أن توافر محطة مترو بجوار المكان القديم يخدم المعرض لأنه يزيد من عدد زواره كما أن سهولة المواصلات تجعل الآباء في حالة من الإطمئنان على أولادهم للذهاب إلى المعرض بمفردهم .. ولم يقتنع كذلك

أخذنا نصرخ ونطلب منه عدم هدم الصناعة بمثل تلك القرارات الغير المدروسة وأنه من الأولى أن يتجه ومعه قيادات الوزارة لحل مشكلة الكتب المزورة والتي تباع على الأرصفة في الشوارع بثمن أقل قليلا عن ثمن الكتاب الأصلي بلا أي مراعاة لحقوق دور النشر أو المؤلف .. ولكنه أيضا لم يقتنع

أخذنا نتحدث ونتحدث ولكنه في النهاية أفهمنا بطريقة غير مباشرة أن ذلك القرار لا يعود إليه ولكنه قرار سيادي أتى من سلطة أعلى منه بكثير مما يجعل يداه مغلولة ولا يستطيع أن يعترض وإلا كلفه ذلك الإعتراض مقعده الوزاري وطلب منا عدم فتح الموضوع مرة أخرى

خرجنا من مكتبه ونحن نتحدث في هذا الأمر بلا فائدة من الإعتراض .. أتذكر أنه منذ عدة سنوات كان النظام القديم يريد نقل معرض الكتاب من موقعه بوسط المدينة لمكان آخر أصغر منه كثيرا بجانبه بحجة تطوير تلك الأرض .. كنت قد سمعت في هذا الوقت أن النظام ينتوي بيع أرض المعارض لجهة أجنبية لتقوم بإنشاء مول تجاري كبير بها وبعض الفنادق الكبرى ولكن يبدو أن قيام الثورة في البلاد ورحيل ذلك النظام قد أجل تلك الفكرة قبل أن يعود ذلك النظام بوجوه جديدة ويفرض سيطرته على البلاد ويرى أن الوقت قد أصبح ملائما ليعيد إحياء خططه القديمة تجاه تلك الأرض

عندما عدت إلى مكتبي كان مدير النشر في الدار في إنتظاري لأطلعه على ما حدث مع الوزير .. جلست وأخبرته بما حدث لأجده يثور ويسب ويلعن في من إتخذ تلك القرارات الغبية والتي ستجهز تماما على المعرض ثم وجدته يقول في غضب :

-حسنا .. ليتمتعوا بمعرضهم هذا بمفردهم .. لننسحب منه ونفكر في أفكار أخرى

نظرت إليه وأنا اسأله عن ماهية الأفكار الأخرى قبل أن ينظر إلى مبتسما وهو يقول :

-المعارض الموازية

صعقت من رده وهتفت :

-ماذا ؟

جلس في مواجهتي وعيناه تلمع من فرط الحماس وهو يقول :

-قبل بداية المعرض بفترة كافية والذي سيقيمونه في الصحراء سنقوم بإستئجار مكان كبير في وسط المدينة بالنقود التي كنا سنستأجر بها جناحا في المعرض ونقوم بإنشاء مكتبة خاصة بالدار ونتفق مع أصدقائنا من دور النشر المختلفة على إمدادنا بجديدهم بالإضافة لجديدنا وكذلك نتفق مع دور النشر العربية الكبرى على توزيع أعمالهم هنا .. وفي نفس توقيت إفتتاح المعرض نعلن عن معرض مصغر للكتاب في المكتبة الخاصة بنا مع وجود نسبة خصم كبيرة على كل الأعمال ووجود حفلات توقيع يومية لمشاهير الروائيين وبهذا سنضربهم في مقتل ونستفيد من تلك الفترة

أومأت برأسي قليلا وأنا أفكر في الأمر ثم قلت :

-وهل تعتقد أنهم لن يتخذوا موقفا من جراء ما سنفعله ؟ تذكر أننا لا نريد صدامات مع الدولة

انفعل وهو يقول :

-عن أي صدامات تتحدث .. لقد أخرجونا من مكاننا المعتاد وقاموا بنفينا إلى الصحراء حتى يضعوا أيديهم على قطعة الأرض وليذهب معرض الكتاب إلى الجحيم .. هل تعتقد أن أحدا سيأتي إليك في الصحراء ؟ هل تعتقد أن الفتيات الصغيرات سيأتين إلي هناك بسهولة كما كان يحدث من قبل ؟ لا يا عزيزي إنها مؤامرة من الدولة على الثقافة بوجه عام .. إنهم يطبقون مبدأ جوبلز وزير دعاية هتلر الشهير عندما قال : " كلما سمعت كلمة مثقف تحسست مسدسي " .. هذا هو ما يحدث يا صديقي ولا بد لنا من مواجهته

نظرت إليه وأنا أفكر في الموضوع .. ذلك المتسرع يريدني أن أتحدى الدولة وأقيم معرض كتاب موازي لمعرضها الرسمي .. يريدني أن أقف أمام النظام .. تبا له .. إنه مازال طفل صغير لا يدري عواقب ما يتحدث عنه .. لتذهب فترة معرض الكتاب إلى الجحيم لو كان ثمنها رضاء مؤسسات الدولة عنا .. نحن أرباحنا لا تقف مادمنا نقدم للقارئ ما يريده ولن تتوقف على فترة الأسبوعين الخاصين بالمعرض .. نظرت له وأنا أقول :

-آسف جدا ولكني لن أقف أمام الدولة من أجل أمر كهذا .. وما يسري عليّ يسري على الجميع

نظر إليّ في حدة قبل أن يقول :

-حسنا .. ولكنني لن أستمر في العمل معك منذ تلك اللحظة

نطق بهذه الكلمة ثم غادر المكان سريعا

أفقت من ذكرياتي على مجئ إحدى زملائي طالبا منى بعض من الكتب المنشورة لدي لهذا العام حتى يقوم بعرضها في جناحه .. قمت وأعطيته ما يريد وجلست في إنتظار زوار المعرض

أمسك بريشة التنظيف وابدأ في إزالة الأتربة المتراكمة على الكتب المعروضة في جناحي بمعرض الكتاب في مكانه الجديد .. أنتهي سريعا من عملي وأجلس عند مدخل الجناح منظرا زوار المعرض

كان قد مر قرابة الأسبوع على إفتتاح المعرض في مكانه الجديد .. كان إفتتاحا رسميا حضره وللمرة الأولى منذ سنوات طويلة رئيس البلاد ومعه رئيس وزرائه وبعض الوزراء وعدد من الإعلاميين المرافقين للرئيس في كل تحركاته .. جاب الرئيس عددا من الأجنحة الحكومية قبل أن يلقي كلمة صغيرة مؤكدا فيها أن هذا المكان سيجعل المعرض يقفز إلى الأمام وسط المعارض الدولية مشيدا ببعد نظر وزير الثقافة في إتخاذ قراره بنقل المعرض من مكانه القديم !!!

بعد إنتهاء الزيارة إنتظرنا زوار المعرض .. ولكنهم لم يأتوا .. إعتقدنا أن تأخر الوقت وبعد المسافة قد أثرا على ذلك اليوم كما أن إمتحانات نصف العام لم تنته بعد في معظم المدارس والجامعات وعلى هذا فبداية المعرض الحقيقية ستكون يوم الجمعة

إنتظرنا يوم الجمعة ولكنه كان كسابقيه .. كل من جاء المعرض لا يتجاوزوا في أفضل الأحوال الألف زائر .. سمعنا العديد من الأحاديث ببعد المكان وعدم وجود مواصلات مُيسّرة تُسهّل عملية الوصول إليه بالإضافة إلى إفتتاح معرض وسط البلد الأول للكتاب

كانت الصدمة شديدة .. مدير النشر السابق لدي بالتعاون مع عدد من العاملين بالوسط من كُتاب ومصححين لغويين ومصممي أغلفة قاموا بإستئجار مكان كبير في منطقة وسط المدينة وقاموا بتجهيزه كمكتبة كبرى وأنهوا الإتفاقات المبكرة مع عدد من دور النشر لإمدادهم بالكتب اللازمة لهم ولكن ضربتهم القوية كانت في الإتفاق مع أديب شاب يعد نجم من نجوم الشباك الأول على نشر روايته الجديدة

حصريا لديهم في دار النشر التي أسسوها وأسموها دار العزيمة للنشر والتوزيع

نجح معرضهم نجاحا منقطع النظير .. وفشل معرضنا فشلا ذريعًا

أخذت في اليوم الأخير للمعرض أجمع كتبي التي لم يباع منها ما تعودت عليه في المعارض السابقة قبل أن تقع عيني على جريدة اليوم وألمح خبر صغير يُفيد بتحويل منطقة أرض المعارض القديمة لمول تجاري عملاق وسلسلة فنادق عالمية تحت رعاية إحدى الشركات الخاصة الأجنبية

أبتسم في سخرية وأنا أكمل عملي في صمت

الفهرس

إهداء دائم	5
أوبر	9
أول مرة	21
برزخ الشهداء	31
في إنتظار القطار	41
التاج	53
الملاك المنبوذ	61
إجتماع القمة الجسدية	69
عواء	77
تأكدوا من وفاتي	95
على الطريق	103
حرقة دم	111
معرض 2018	131